إهداء

.....

.....

يمنى معوض .....

يُمنى معوض

حلم الصوَّاف

رواية

obeikan.com

الكتـــــــاب: حلم الصواف
المـــؤلـــــف: يمنى معوض
تصميم الغـــلاف: عبير محمد
المراجعة اللغوية: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع
رقـــم الإيـــداع: 2496 / 2016
الترقيـم الدولـي: 978 - 977 - 779 - 074 - 1
الإخـراج الفنـــي: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: 97 ش محمد فريد، وسط البلد، القاهرة
هاتف: 0223952354 - موبايل: 01142050403
الموقع الإلكتروني: www.prints.ibda3-tp.com
البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

obeikan.com

يُمنى معوض

حلم الصوَّاف

رواية

obeikan.com

obeikan.com

إهداء

إلى سيدة النساء.. صاحبة العظمة والكبرياء.

إلى الوطن والعمر واختصار الحياة.

إلى مثلي الأعلى في القوة والحب الذي لا ولن يترجم

إلى.. أمي

إلى كل من أهداني كلمة استطعت أن أنسج بها ثوب روايتي.

إلى كل من فتح في عقلي نافذة جديدة نحو السماء والطموح.

إلى كل من أعطاني ثقة بموهبتي.

إلى كل من أثنى على قلمي يومًا.

أهدي روايتي لكل من آمن بحلمي وزادني إيمانًا به.

يمنى معوض

obeikan.com

obeikan.com

ذات فراق مروع سقطت من قمة أحلامي الشاهقة لأعمق بقعة في جوف الخيبة، انكسرت أضلع حريتي أجمعها، وتمزقت أوردة السعادة كلها، ذات لحظة احتطام بالقدر.. خسرت أنا كل شيء وانكسر فيّ كل شيء، ما عدت أقوى على السير على قدميّ الأمل، وما عدت أستطيع أن أستريح قليلاً على ظهر من ذكريات..

وقوتي التي كنت أعتكز عليها لحظة ضعف؛ انكسرت فجيعة على حالي..

أنا الروائية "حلم الصواف" أكتب قصتي وسيرتي في أسطر من نار وخطوط من لهب، أكتب لأني أريد التخلص من تلك الأحزان المتراكمة في حلقي، والتي تمنعني من التنفس، أكتب قصتي ذريعة لتحرر، لهروب، لأنفُض من على كاهلي خيبات تراكمت بلا خجلٍ، بلا إذنٍ..

أنا حيث لا شيء حولي سوى قلبي وخيبتي وقليل من ذكرياتي وكثير من هزائمي.. أكتب الآن روايتي الأخيرة.. فما عاد بعدها نفع من حرف جديد، ومادام الورق أصبح يبكي معي فلابد أن أفارقه، ومادام القلب ينزف معي فلابد أن أفارقه، ومادامت الحروف تتوجع معي فلابد أن أفارقها.. فأنا اكتفيت بحزني ونزفي ودمعي ولا حاجة لي بالمزيد.. قررت أن أنهي كل شيء.. أن أبتعد عن كل شيء.. أن أتحرر من كل شيء.. ومادمت أنت يا حبيب العمر فارقتني، فما عاد يستحق بعدك أي شيء.

obeikan.com

القدر

على عتبة الماضي وقفت أنا أطرق بابه، علّي أحصل منه على قليلٍ من الدفء، قليلٍ من الأمان، قليلٍ من الذكريات، كنت أقف على مسافةِ لهفةٍ واحتضارٍ، كنت أطرق برعبٍ، كنت على قيدِ الخوف من قدري الذي يطاردني.. كذئب كان هو، كفريسة كنت أنا، كغابة كانت ذاكرتي، حيث يطاردني فيها قدري.. إلى متى سأظل هنا على باب الماضي، رهينة رجاء إليه وعفوٍ منه!!

الأيام تمر، والليل ينسدل والذئب يقترب وخوفي يشتعل ولا أملك بيدي سوى الصريخ بصمتٍ، بقلبٍ مكلوم، لا أملك سوى ضمادة في يديّ وأنابيب معلقة في ذراعي، وفراش يعصمني من السقوط في هوة الزمن.. أين أنا؟ ومن أنا؟ صدقًا لا أعرف.

- "حلم" أين أنت؟ ظللت أبحث عنكِ في كل مكان.

انتفضت ذاكرة "حلم" فجأة لتستتر في عقلها بعد أن اقتحم "آدم" الغرفة فجأة.. صوته قطع حبل خواطرها التي باتت تزورها كثيرًا هذه الفترة.. ربما لغياب "هاشم" أثر في مضاجعة خيالها لذاكرتها كل ليلة حتى الصباح وانتهاكها حتى تعلن الاستسلام وتفوح رائحة الوجع منها، وتعترف كم أحبته.. كم أدمنته عشقًا، وتظل هكذا حتى يقاطعها صوت

عصافير الصباح أو صوت "آدم" وهو يقتحم الغرفة.

نفضت ذاكرتها مما كانت تمسك به من خواطر ورفعت رأسها من على وسادتها لتنظر لـ "آدم" نظرة، كانت تعرف أنه يعشقها ويعشق أن يوقظها كل صباح فقط، ليحظى هو بتلك النظرة من عينيها حين تتفتح لأول مرة من نوم حرمه منها لساعات طوال.

ولكن كان هذا سابقًا قبل أن تقطع "حلم" عادتها بالنوم لساعات طوال وأصبحت تأخذ من النوم ما يريحها من وجع ذاكرتها فقط.

نظرت له..

كان "آدم" لا يتخلى عن أناقته وهو ذاهب إلى "حلم" وقف أمامها وهو يرتدي بنطلونًا من الجينز وقميصه الأبيض ذي الرقبة البنية وساعته الفضية التي أهدتها "حلم" له في عيد ميلاده السابق.. من يستطيع إنكار جمال هذا الشاب؟!

كان "آدم" رفيق وجار "حلم" منذ ولادتها فكان لها الأخ والتوأم، وحين كبرا معا أصبحا صديقين لا يفرقهما شيء، كانت "حلم" تحب رقة "آدم" وأناقته وطيبته التي تحتويها وتنسيها آلام كل شيء

وبرقتها المعتادة نظرت له: اعتذر لقلقك عليَ.. كم الساعة الآن؟

- لا تعتذري يا صغيرتي أنا فقط لم أتخيل أنكِ تنامين لهذا الوقت، لذا بحثت عنك في كل مكان قبل أن أفكر أن مولاتي مازالت في زيارتها

لسلطانها المعظم، كما أن الممرضة أخبرتني أنكِ قررتي في المساء أن تنزلي لحديقة المستشفى صباح اليوم، لذا بحثت عنكِ هناك ولم أتخيل أنكِ تخلفين وعدك مع الزهور وأبيات قصائد الورد بعد أن وعدتيها بأنك ستزورينها.

وابتسم "آدم" فتفتَحت كل ورود الصباح بابتسامته.. كم أحبت "حلم" ابتسامة "آدم" حين يداعبها، وحين تشعر أنها مازالت صغيرة بين يديه.. كم شقي جمال هذا الشاب، كم رقيق طيفه وكأنه هدهد مرسلُ.

ولكن.. كيف نسيت موعدها مع زهورها هذا الصباح.. بالفعل قالت في المساء إنها ستنزل لحديقة المستشفى غدًا..

مر ما يزيد على أربعة أشهر على وجود "حلم" في ذلك المستشفى بعد تلك الحادثة التي أصابتها ولعب القدر لعبته وضغط فيها على زر "مسح" ليمسح فيها ذاكرة "حلم" لم تتذكر بعد تلك الحادثة شيئًا سوى "هاشم" ظلت تخبرهم أنها لا تتذكر أحدًا.. فقط تتذكر "هاشم"، إنها تتذكر وجوده بداخلها.. ولكن يغيم على صورته كثير من الغيم ويصيبها كثير من التشويش.

ومن يومها و "آدم" لا يفارقها يأتيها بكل الصور التي كانت تجمعهما صغارًا وشرائط التسجيل والفيديوهات ليُذكَرها بنفسه وبأهلها، ولكنها فشلت أن تتذكر أحدًا سوى "هاشم".

هذا هو الجوع الحقيقي، أن تشتاق لأحدهم ولا يغنيك عنه ألف آخرين،

أن تشتهي أحدهم ولا يطيب شهيتك سواه، أن يجف الحلق فلا يرويك غيره.

ومن أسبوعين فقط كانت تسير مع "آدم" في حديقة المستشفى وعلق "آدم" على شكل الورود بأنها تُذكَره بـ "حلم" في طفولتهما وهي تداعبه بكلماتها الرقيقة (أنت لا تريد أن تلعب معي لأنك تعرف أنك لن تستطيع هزيمتي.. هكذا ستظل تخاف أن تقترب مني) وتضحك ضحكتها المستفزة التي تبعثر طفولته بداخله وتجبره أن ينهض من مكانه ويلعب معها.

حينها فقط توقفت "حلم" عن سيرها وأخذت تكمل له باقي الحدث.. حادثة بسيطة تستطيع أن تأتيك بالماضي كله طوع يديك.. تذكرت "حلم" "آدم" ليس تمامًا ولكنها تذكرت أن طفولتها كانت معه ومراهقتها وشبابها أيضًا معه.. تذكرت جارها وصديقها.. تذكرت كيف كانت تبكي لأجله كلما تعب أو اشتكي من شيء.. تذكرت أنها أحست معه لأول مرة كيف يكون الخوف على أحد والخوف من فقدان أحد.. كيف تكون اللهفة والاشتياق لأحد حين يغيب.. كيف تكون السعادة متعلقة بابتسامة أحد،

عرفت حينها لمَ تعشق ابتسامة "آدم" حين يأتي ليوقظها ليس لأنها ابتسامة رائعة تتفتح فيها كل أبواب النور المغلقة فقط.. ولكن لأنها تلك الابتسامة التي لم تفارقها طوال خمسة وعشرين عامًا من حياتها.

Obeikan.com

كانت فرحة "آدم" بتذكر "حلم" له فرحة شعر فيها بأن ضلوعه تكاد تتكسر ليخرج قلبه ويُقبّلها، جلسا حينها يتذكران حياتهما كلها معا كيف كانت الطفولة والشباب بينهما..

ومن يومها وهي لا تقبل أن يوقظها أحد سواه.. ولا تتكلم مع أحد سواه.. ولا تتحدث عن "هاشم" لأحد سواه.

غرقت "حلم" في ذكرياتها مرة أخرى ولكن هذه المرة سريعًا ما اقترب "آدم" من سريرها ومد يده بحنانه واحتوى وجهها بين كفيه.

-- وجهك لا يعجبني أرى في عينيك شيئًا غريبًا، أرى في عينيك طوفانا من الأحزان يجتاحك بعد أن فارقك بعد شهرين من الحادث، ألن تخبريني ما الذي أصابك مجددًا؟

-- لا شيء سوى بعض التعب والإرهاق أظنه من الأدوية وجلوسي في المستشفى كل هذه الفترة

-- حلم ألم تتذكري "آدم" بعد! وأنكِ كنتِ لا تخفين عنه شيئًا؟ لا توهميني بأن الأدوية هي ما أحضرت طوفان الحزن إلى عينيكِ! ولا تقنعيني بأن "حلم" تلك التي خلقت كل الأحلام الجميلة هكذا يصيبها الحزن من لا شيء؟

-- "آدم"، أنا أريد أن أخرج من المستشفى.. أنا حقًا تعبت وأشعر بأن وجودي في هذا المكان أكثر من ذلك يتعبني كثيرًا.

-- ولكن .. أنتِ لم تتذكري بعد أحدًا غيري أنا وذاك الـ "هاشم" الذي لم نعرف عنه شيئًا حتى الآن ولم يظهر ليطمئن عليكِ.. لا أستطيع أن أعرف لمَ أنتِ متمسكة به لهذا الحد؟

-- "آدم" أنا فقدت الذاكرة وليس قلبي أنا لست بقاسية لأنسى حبي في لحظة وأنا أعلم أنه سيأتي.

- إذن أين هو؟ لمَ لم يظهر حتى الآن؟ ألم يعرف بما حدث وحتى لو لم يعرف.. لِمَ لم يبحث عنكِ أيعقل أن تغيب حبيبته أربعة شهور ولا يبحث عنها في كل جزء في البلد!

- " آدم" نتحدث في أمره لاحقًا ولكن الآن أنا أريد أن أخرج من هذا المكان.. ألن يوفروا لي الرعاية الكاملة في بيتي.. أعدكم بأني لن أخرج ولن أطلب أن أرى الشارع ولكن أشعر بأني حرة ولست سجينة المرض في هذا المكان.

أنت تعرف "حلم" قضت خمسة وعشرين عامًا من عمرها تكره أن تسجن حتى في غرفتها حتى في ذاكرتها كانت دائما تجدد ذاكرتها بالأحداث الجديدة.. حتى عاقبني القدر بأخذ كل شيء.

وقطع صوتها فجأة سحابة من الدموع ظهرت في عينيها.. فاقترب منها "آدم" قبل أن تسقط عيناها المطر ليطمئنها بأن كل شيء سيعود كما كان، وأن ذاكرتها ستعود كما أعادت "هاشم" ومن بعده "آدم"، ولكنها لم تستطع أن تخفي تلك السحابة حتى قال لها:

openkan.com

- سنحاول مع الطبيب وأعدك بأني سأخرجك قريبًا، ولكن حين أرى بسمتك تحتضنني من جديد

فأجابته بابتسامتها الرقيقة التي تنم عن ذلك القلب الملائكي الذي يسكن بداخلها:

خرج "آدم" من غرفتها وتركها وذهب للطبيب محاولاً معه في قرار خروجها.

وظلت "حلم" على سريرها تحتضن وسادتها وتجهش بالبكاء بعد أن خرج "آدم".. وأخذ عقلها يصرخ.. أين "هاشم" حتى الآن؟ أحقا كان يوهمنا بحبه؟ كيف!! وكيف قلبك استطاع أن ينخدع فيه، أنقلته الريح إلى حيث لا يدري هو، كيف يمكن أن تنزلق قدماه قبل الوصول لقامة رأسها لتقبيلها، كيف استطاع صدره أن يضم في ليالي أربعة أشهر شيئًا غير عطرها، صوتها، وجودها؟

كيف يرتدي قميصه كل نهار ويمر بأصابعه على أزراره دون أن يتذكر أن أصابعه لم تمر على أزرار هاتفه ليحادثها قبل كل شيء؟

كيف استطاع أن يفتح نافذة غرفته، قبل أن يفتح نافذة عينيها من النوم؟ ثمة جريمة ارتكبها غيابه في حقها، ثمة قضية لابد أن تثار لمعاقبة الزمن الذي حرمها منه؟ ثمة ليالٍ، فراق ولحظات من الاشتياق شهود على جريمته، ثمة قلب مجني عليه ملقى على الفراش كقطعة من القماش البالية، ثمة كبرياء منها يستطيع أن يقاضيه بألف

سنة من السجن أو يزيدون في صدرها، ثمة قضية مكتملة هنا تنتظر فقط الجاني لترفع جلسات الانتظار وينطق بالحكم عليه.. ولكن يبقى سؤال واحد.. أين هو؟

أهل اتفق مع القدر أن يدبر لها تلك الحادثة ليتخلص منها.. حتى "هاشم" اتفق مع القدر عليها ذلك الرجل الذي علمها لعبة (الريست) مع القدر وألا تأمن له أبدا.. جاء الآن واتفق معه عليها.. تبًا لجبروته!! كيف تُلاعِب القدر الآن بعد أن أصبح "هاشم" في صفه.. كيف تلعب ضد "هاشم" بعد أن كان هو جيشها الحامي لها.. كيف تقف ضد "هاشم" بعد أن كانت تفوز من أجله وبتشجيعه لها!!

أقف الآن ثانية على باب الأمل أطرقه خفيفًا، أسأله كسرة من حب، أو ثريدا دافئا من معصم "هاشم"، أو فتات من ذكرياتي معه، أشعر بأني طفلٌ تائه، مشردٌ، أين حبيبي ووطني وملجأي؟!

حين التقيت به لأول مرة اعتقدت أن الحياة وأخيرًا أنعمت عليّ بشيء من الفرح وكثيرٍ من الحب، ولكني الآن أقف أمامها على مسافة من خيبة وانكسار، على مسافة من رجاء وتوسل، وأنا أراها تبعثر فرحي بعيدًا عني، وتنفخ فيه فيطير في الهواء كرماد محترق، كورق لا يهم، كشيء لا يساوي، كلا شيء.

على فراشي الآن أنظر لعقارب الساعة أرى في عقرب الثواني والدقائق قدرنا، أراني أجري خلفك علّي ألحقك ويا ليتني أستطيع!!

الساعة الآن أنا وأنت وزمنٌ لم يكتمل، وساعة لم يحن موعدها بعد.. وميعاد طرف منا خانه.. وفي رقدتي هذه يا "هاشم" لا أطن بأني أنا من خنت موعدنا ..

ولكن لسان حبي لا يستطيع أن يتمتم بأنك من خنت موعدي، شيء بداخلي عارٍ من الشك فيك، والعبث بوجودك بداخلي.

أين أنت؟

ألم تكن أنت الثابت الوحيد في كل متغيراتي، وكنت أنت التغير الوحيد في ثوابتي الرتيبة؟

ألم تكن أنت زهرة البنفسج التي أزهرت فجأة على أعتاب قلبي، ألم تكن أنت البركان العاطفي الذي ثار بداخلي وأطفأته بحبك، ألم تكن أنت رجل العواصف الموسمية في فصلي اللهفة والاقتراب، أين أنت من كل هذا؟ أين أنت يا كل هذا؟!

ألم تكن أنت "هاشم" الذي أخبرني بأنه سيعطيني روحه إذا كانت ثمنًا لحياتي.. أنا الآن لا أحتاج روحك، فقط أحتاج وجودك بجانبي.. أهل هذا أكثر وأغلى عندك من روحك؟! تبًا لحساباتك الخاطئة تبًّا لمعتقداتك.

كيف يكون كل ذلك وهمًا؟! كيف يستنكر "آدم" وجود "هاشم"، ذاكرتها وهي تحتضر في الحادث نطقت باسمه ثم غابت عن الوعي، بأي لحظة كانت تنادي عليه وفي أي موقف تذكرته، ولأي مدى وصلا

openkan.com

معًا، ولأي لحظة توقفا، متى تقابلا، ومتى تفرّقا؟

لمَ بقىَ "هاشم" بداخلها؟ صرختْ "حلم" من الخيبة، من الوجع، من وجوده، من احتياجها له، من غيابه؟

لمَ أبقاه القدر معها؟ ثمة شفقة عليها حتى لا تسقط في الطريق وحدها دون سندٍ، أم ثمة خديعة ومكرٌ لإجهاض راحتها كل ليلة من رحم نومها!

لا تعرف.. ولكن هي لا تثق بذلك المحتال الذي سرق ـ على حين غفلة منها ـ ذاكرتها وانطلق يعدو كفهدٍ حرٍ.

الآن.. هي لا تريد سوى أن تعود لها ذاكرتها لتعرف ما الذي حدث وفي أي نقطة توقفا، وأين "هاشم" الآن؟

غرقت "حلم" في نومها بعد صراع طويل بداخلها أوقفته بتنهيدة ودمعة وأنة وسكون.. ولم تفق إلا على صوت والدتها وهي تخبرها بأن الطبيب سمح لها بالخروج.

كأن باب الأمل الذي ظلت تطرقه مرارًا، في النهاية استجاب.. لم تصدق نفسها أخيرًا ستخرج من هذا السجن، أخيرًا ستلتقي بغرفتها، هي متأكدة أنها ستساعدها على تذكر أشياء كثيرة.. أخيرًا ستعود لحياتها.

دخل "آدم" الغرفة وأقبل عليها وقاطع فرحتها مداعبًا:

-- لتعرفي أنكِ حين تريدين شيئًا ولو كان مستحيلاً كل ما عليك هو

الضغط على قلبي وسيتحقق لك مرادك فورا.

ابتسمت "حلم" لمداعبته.. حقًا من يوم الحادث هو من يستطيع إضحاكها وإسعادها.. هو من يستطيع تغيير ملامحها الحزينة لملامح تلك الفراشة التي ارتسمت وجهها خمسة وعشرين عامًا.. بل هو دومًا من كان يستطيع إسعادها، كانت هديته في عيد ميلادها تلاشى بوجودها فرحتها بكل الهدايا الأخرى.. كان وجوده في أيام نجاحها هو سبب سعادتها وليس النجاح نفسه.

حتى بعد أن أحبت "هاشم" ظل "آدم" كما هو، نبهت على "هاشم" أن "آدم" ـ خط أحمر ـ لا يعارضها في حبها له ولا يفرق بينهما، حتى وإن حاول سيكون هو الخاسر حتما، وكان "هاشم" بدأ يعتاد هذا الوضع في الفترة الأخيرة.

يحدث أن يكون في حياتك ثمة شخص هو أخ وصديق وابن وضحكة ودمعة وقلق، ولكن ليس حبيبًا لأن وببساطة ـ يا عزيزي ـ الحبيب يكون شخصًا آخر غير كل هؤلاء.

*****

بدأت والدتها في تجهيز شنطة ملابسها وجمع متعلقاتها.. أربعة أشهر في تلك الغرفة نقلوا لها كل حياتها حتى لا تشعر بأنها في سجن، ومع ذلك شعرت بأن المكان يضيق عليها كلما مرَ الوقت ولم يخفف وجعها سوى وجود "آدم" معها دائمًا.

obeikan.com

بدلت "حلم" ملابسها ووقفت تنظر من الشباك حتى تنتهي والدتها من تجهيز شنطتها، وقفت تنظر لتلك الحديقة وتلك الوردات اللاتي أصبحن صديقاتها.. فقد كانت تحدثهن كل صباح وتعترف لهن بكل ما يؤلمها وكم بكت أمامهن وهي تتألم من غياب "هاشم".. لا تحزن لفراق المستشفى إلا لتلك الوردات.. هذا الصباح تراهن مختلفات عن كل صباح وكأنهن يشعرن أنها ستفارقهن.. هن يودعونها.. ولكنها تشعر أن في أعينهن أسئلة كثيرة؛ هل ستفارقين دون عودة.. هل سترحلين مع "هاشم" هل أتى ليأخذكِ أم أنكِ ستهربين مننا دونه.. كيف ستكملين الحياة بعده وحدك؟!

لا تعرف أكانت حقًا ترى هذه الأسئلة في أعينهن أم أنها تسمعها من صدرها، مسحت زجاج نافذتها لتتأكد أن الضباب من الجو وليس من عينيها، يجتاحها منذ سمعت خبر خروجها من المستشفى سؤال واحد.. كيف ستكمل الحياة بعده وحدها؟ كيف ستقوى على مواجهة القدر وحدها ؟ أهل ستعيش على المهدئات كما عاشت تلك الشهور في المستشفى لتقوى على النوم؟!

قاطعها صوت والدتها بعد أن فرغت من تجهيز شنطتها:

- هيا يا "حلم" أم أنكِ تريدين البقاء مع تلك الوردات؟

- حقا سأشتاق لها ولكني مشتاقة للحياة خارج ذلك السجن أكثر.

openkan.com

حنين قاتل

ذات فرح أنت تنسى كل ما آلمك يومًا.. وهذا هو الفرح الحقيقي.. وأنا الآن في غرفتي، صندوقي الصغير وذكرياتي الكثيرة أشعر بفرحة نسيت للحظة غياب هاشم، ونسيت لدهرٍ بأني لم أعد أتذكر له شيئًا بعد ذلك.

أقف أمام خزانة ملابسي، وأتذكر خزانة ذكرياتي وما تبقى فيها، أين رحلت كل الذكريات التي رتبتها بدقة ذات عمرٍ، أين عطر الأفراح الذي ملأت به خزانة ذكرياتي.. على رف الحزن أنا وضعت كل الذكريات الشتوية لتدفئه قليلاً، لتختبئ فيه ويختبئ في أصوافها وضحكاتها واحتكاك كفيها مع كفي الفرح، واشتعال لهب السعادة بينهما، وبعيدًا عنه قليلاً وضعت على رف الأحلام كل أحلامي التي لم تتحقق وتستتر في سترة فشلي، أتمنى ألا تكون الآن غاضبة مني لأني فشلت حتى في الاحتفاظ والتمسك بها!!

أين كل ذلك من خزانة ذكرياتي؟ كيف تعرت فجأة ؟ كيف انتهكت أسرارها في لحظة، من أعطى الحق لقدرٍ أن يضطلع على كل ما امتلكته يومًا؟

القدر.. ثمة جريمة ارتكبها في حقي، وثمة سرقة تمت على مرأى من عشقي وجنوني وذكرياتي.. وثمة صرخة كتمها هو بخيبة، ثمة رصاصة فراق تسكن قلبي، أشعر بها وما من طبيب يستطيع الوصول إليها.. تبًّا للطب والكيمياء والضمادات وكل شيء لا يشعر بأنين القلب..

استقرت "حلم" على أرضية غرفتها تهذي بأمورٍ لو تحدثت فيها مع أحد لأعادوها إلى المستشفى، ولكن هذه المرة إلى مستشفى الأمراض العقلية.. وحدها هنا تسأل القدر كيف تجرأ على ذاكرتها! كيف استطاع أن يسلب منها كل شيء دون خجل، دون خوفٍ، دون شفقة،

تمسك بصورها وصور عائلتها وأصدقائها، كل شيء أصبح بالنسبة لها صورا، صورا وفقط.. من هم وأي ذكرى تربطهم بها.. لا تدري!!

ظلت تعبث بالصور والدفاتر التي بين يديها حتى سقطت في جوف هوة عميقة من النوم ..

أفاقت "حلم" فجأة علي رنة هاتفها انتفضت كما ينتفض الطفل الرضيع حين تسكبه بماء بارد.. فتحت عينيها.. إنه "هاشم" اسمه ينير شاشة هاتفها، كما ينير القمر الكون ليلاً؛ أمسكت بهاتفها وضمته إليها كما تضم الأم رضيعها خوفًا عليه من البرد والضياع.. التفت حول نفسها مرة أو اثنتين وهي لا تدرك بماذا تجيبه، بصرخة أم بدمعة، أم بلهفة، أم بخيبةٍ.

أترى ما سبب غيابه؟ ألحق به نفس القدر الذي أنساها إياه، كفكفت

دمعها، كل ما يهم الآن إنه يتصل من جديد.

أسرعت لتجيبه قبل أن ينهي اتصاله، وما أن سمعت صوته حتى أجهشت بالبكاء وفجأة استيقظت من نومها.. يا إلهي أهل كانت عودة "هاشم" مجرد حلم هاجمها في نومها؟

أبشع ما يصيب المرء أن يهرب من واقع مؤلم بالنوم ثم يحاصره ذلك الواقع في أحلامه أيضًا،

لماذا نهرب إذن للنوم طالما أصبح كلاهما مُرا؟

لماذا نغلق أعيننا غصبًا لكي لا نرى واقعًا مادمنا سنراه في الظلمة أيضًا؟

لماذا نرتدي ثوب النوم مادمت أحلامنا عارية يجتاحها الألم كما يجتاح واقعنا؟

كم تمنينا لو نرى من نشتاق لهم في الأحلام؟

ولكن هل جرب أحد منا أن يحلم بشخص مشتاق له؟!! هل رؤيته في الحلم تقلل من شوقنا شيئًا، بل إنها تزيده كما تزيد الماء سنابل القمح إشراقا ولمعانا.. كلما حلمنا بمن نشتاق لهم لمعوا في ذاكرتنا أكثر.. وكلما صرخ القلب والعقل يطلبانهم أكثر.

كيف نهرب من واقعنا إلي أحلامنا العارية إذًا؟!!

بكت "حلم" كثيرًا بعد ذلك الحلم.. بكت لأنها عرفت أنها لن تستطيع

obeikan.com

أن تهرب من "هاشم" حتى بالنوم أمسكت هاتفها واتصلت بـ "آدم"، وبكت له كثيرًا، وطلبت منه أن يأتي لها في الصباح سريعًا.

obeikan.com

بداية الوجع

الأحلام هي الفخ القدري الذي تسقط فيه سقوطًا حرًا دون دفع من أحدهم ودون خديعة من أحدهم عليك..

حكت "حلم" حلمها لـ "آدم" وهي تبكي وأخبرته أنها تشتاق لـ "هاشم" كثيرًا وتشتاق لصوته ويقتلها كثيرًا أنها لا تستطيع أن تتذكر وجهه، كيف تتذكر اسمه وحبه ولا تتذكر وجهه؟

الأطباء قالوا: إن هذا أمر طبيعي يحدث نادرًا كنوع من الفقدان الجزئي، خاصة بعد الغيبوبة الطويلة التي سقطت بها، فهي فقدت الذاكرة ولكن ليست كاملة والدليل الأكبر أيضًا أنها استطاعت بسهولة تذكر آدم من جديد، لذا تذكرها لهاشم وحبها لهذه الأشياء متعلقة بالجزء الذي لم يُفقد بعد، لذلك بقيت عالقة بداخلها ولكنها لن تستطيع ربطه مع واقعها أو تذكر الملامح أو تذكر كيف كان هو بالضبط في حياتها؟!

لذلك فمن الطبيعي ألا تتذكر وجهه كباقي الأشخاص الذين نستهم وتساقطوا من ذاكرتها بعد الحادث.

حين تدمن الذاكرة الاحتفاظ بأحدهم، فإنها تتشبث بثوب ملامحه

obeikan.com

وكأنها طفل صغير يخشى فقده لو تركوه وحده، وأن تؤخذ منها ملامح من أدمنته على مرأى من ذاكرتها، وهي مازلت على قيد إدمانها فهذا يسبب لها شيئًا من هلع الفقد.. نسيان وجه "هاشم" يؤلمها كثيرًا حتى إنها حاولت أن تبحث عن صوره على حاسوبها الخاص، لم تجد شيئًا وكأن حاسوبها فقد الذاكرة مثلها تمامًا..

لمَ خذلتها الصور أيضًا!! ولمَ خذلها حاسوبها أيضًا بعد أن وعدها أن يحتوي صوره للأبد؟ لمَ الجميع خذلها في وقت واحد لمَ سمح "هاشم" للجميع أن يتفق عليها وهو معهم؟!

"الخذلان" هو درجة من درجات سلمك الحياتي المرصعة بالدفء الناعم وحبات اللؤلؤ العاطفي، ولكن ما إن وضعت عليها قدميك لعرفت أنها مجوفة من الداخل ممتلئة بالفراغ، ولكنك لن تستطيع إدراك ذلك إلا بعد أن تنزلق قدماك وتعود إلى نقطة الصفر.. أول درجة، تبدأ سلمك الحياتي من جديد بقليل من القلق وكثير من الحذر وكثير جدًا من الشك..

عرفت حلم لحظة وقوفها أمام "آدم" إنه قد آن الأوان لفقد بعض من لؤلؤات عينيها الثمينة، وهدرهم على رصيف الحياة وبيعهم التراب دون مزاد أو عقد أو أي ثمن ولو بخس لهم.

بكت.. بكت "حلم" كثيرًا، بكت آلام جسدها، بكت ذاكرتها التي رحلت، بكت برودة ذاكرتها بعد أن فرغت من طفولتها وشبابها، بكت عمرها

الذي ضاع في لحظة، وتلك الشقوق التي ظهرت في قلبها تدل على حالة تصدع عشقية على وشك الحدوث بغياب "هاشم"، ثم بكت "هاشم" بكته كثيرًا وكثيرًا.

أخذها "آدم" في حضنه.. رقيقا كعادته، حانيًا بطبعه، دافئًا ككوخ شتوي يشتعل حبًا، كفكف دموعها متسائلاً:

ـــــ إذن ما الحل الآن؟ أستظلين هكذا لا تأكلين شيئًا ولا تشربين ولا تفكرين في شيء سواه.. "حلم" أعدك بأنني سأبحث عنه وأعرف ما الذي حدث فإن كان خذلك فعلاً فعليك أن تنسيه وحالا وإن كان حدث له مكروه أعدك أن أوصلك إليه.

"الوعد"، هو نفق مظلم عليك تنفيذه لتصل إلى طاقة النور التي تقف على نهايته، وإياك وخلافه فينهار النفق عليك..

وكلمات "آدم" كانت كنفق فُتح بابه من جديد فدخلت له خيوط النور ترسل لها السعادة في قلبها.. شكرته كثيرًا ووعدته بأن تعتني هي بنفسها حتى يأتيها بخبر عن "هاشم".

مرَ شهر كامل في رحلة البحث عن "هاشم"، ولم يكن يؤلمها طول المدة بقدر ما كانت تؤلمها ساعات الليل التي تنتظرها كل ليلة لتنهش فيها وفي قلبها، يهاجمها الحنين والشوق لـ"هاشم"، والوجع من غيابه.

الوجع ليس مشاعر تأتينا لغياب من نحب، إنما هو مصاص الدماء لا يظهر لنا في وضح النهار ونحن في وسط الناس نحتمي بهم، ولكن

يهاجمنا بعد ما يسدل الليل ستائره السوداء ويودعنا الجميع، ونكون وحدنا لا رفيق ولا حبيب ولا أهل، يشم رائحة الحنين والشوق بداخلنا عن بُعد فيقترب منا ويضاجعهم حتى ينتهكنا تمامًا ونبقى كجثة هامدة يحتضنها الفراش يحميها في آخر لحظات الألم.

مرَ الشهر و"حلم" لا تفعل شيئًا في حياتها في النهار إلا أنها تنتظر خبرًا من "آدم" عن "هاشم"، وفي الليل مجاهدتها مع الوجع والحنين والشوق ومتابعة المقال الأسبوعي، الذي وقعت عيناها عليه بالصدفة لحظة جلوسها في حديقة منزلها في إحدى المجلات المشهورة، وكان بعنوان "أذكروني حين أغيب" لكاتب يمضي بـ "مجرد كاتب" ، كان يكتب عن النوستالجيا وكل الأشياء التي يحن لها القلب من الماضي، كانت تشعر أنه طبيبها الخاص الذي يحاول إعادتها للماضي وإعادة ماضيها لها، وكان يضع في نهاية مقاله عنوان بريده الإلكتروني حتى يرسل إليه القراء أشياءً من ماضيهم يحنون كثيرًا إليها، ليخصص لها عددًا وينشرها بدلاً من مقاله.. كم كانت تشتاق كثيرًا أن تراسله وترسل إليه شيئًا من ماضيها .. ولكن أين ماضيها؟ أترسل إليه صفحة بيضاء وتقول له هذا كل ما أملكه من ماضٍ؟!

اكتفت بأن تتابع مقاله وتتابع عدد القراء، كانت تشتهي لو تتناول ماضيها آخر كل ليلة على جوع كما يفعل هؤلاء.

أتراهم يدركون لذة الوجبة التي بين أيديهم أم أنهم يتطلعون لوجبة أفضل كالمستقبل مثلاً..

openkan.com

كيف الوصول إليهم جميعا وإخبارهم أن الوجبة التي بين أيديهم أشهى بكثير مما يتطلعون إليه، وبها كل المكونات الصحية لإبقاء عواطفهم في حالة عاطفية جيدة..

أفاقت "حلم" من شرودها أمام إحدى مقالات ذلك الكاتب على يد والدتها، وهي تربت على كتفها لتخبرها بأن "آدم" ينتظرها في "الريسيبشن".

وكأنها امرأة عاقرٌ نجح العلاج بعد سنين طويلة أن يخدع رحمها ويقنعه بأن يستضيف جنينًا بداخله لتسعة أشهر فقط، وكأنها أخيرًا ستكون أمًا!!

هكذا شعرت "حلم" حين اقتربت من "آدم" لتصافحه وتنتظر منه أن يأتي لها بأي خبر عن "هاشم".

كانت عينا "آدم" تنظران لـ"حلم" بحزن أو بشفقة أو بعطف لا يعرف "آدم" لحظتها كيف كان شعوره، وكيف كانت نظراته لها ولكن كل ما يعرفه أنه أمام إنسان ينتظر تحديد مصير قلبه بكلمة تخرج من فيه الآن!

استجمع شجاعته واحتوى وجهها بين كفيه ثم قال لها:

- "حلم"، ثمة حب يولد ليكون طفلاً جميلاً يتربى بين قلبين، وثمة حب يولد مشوهًا يتعذب بين قلبين ويعذبهما معه، ولكن ثمة حبا لم يكن مقدرا له أن يولد يومًا.. قاطعته "حلم":

obeikan.com

- "آدم" لا أفهم ماذا تقصد؟

سكت "آدم" عن الكلام للحظات ومرت علي عينيه سحابة من الدموع ملأت عينيه.. "آدم" يعرف أن ما سيقوله صعب على "حلم"، ولكنه وعدها.. هو من وضع نفسه في هذا الموقف.. كيف لـ"أدم"، الذي كان دائمًا مصدر السعادة والفرح لـ "حلم" منذ طفولتهما، وكان رفيقها في طريق النجاح، وكان سبب ضحكاتها يأتي عليه اليوم الذي يكون فيه مصدرًا للألم لها.. كيف كلما تذكرت هذه اللحظة تتذكر فيها "آدم"، وهو ينعي لها هذا الخبر؟ كيف لـ "آدم" بعد أن كان شاهدًا علي هذا الحب، يأتي الآن ويكون شاهدًا على مراسم عزائه، كيف سينطق بفمه نعي حبهما؟ كيف يستطيع أن يحتوي "حلم"؟! هو قلقٌ جدًا من ردة فعلها.. هل ستسقط.. هل ستفقد وعيها!! ولكنه في النهاية وعدها أن يأتيها بالخبر أيا كان..

قاطعت "حلم" طوفان التساؤلات والحيرة التي انتابته حين هزت كتفه:

- "آدم" أخبرني ماذا عرفت لا تصمت هكذا أرجوك أخبرني أي شيء أنا أموت، وأنا انظر لك وأنت صامت هكذا.. أخبرني أي شيء عنه إلا أن يكون حدث له مكروها.. ثم ترقرقت عيناها بالدموع وأكملت بصوت متقطع:

- "آدم" هل حدث مكروه لـ"هاشم" هل أصابه حادث؟!

وأوشكت على البكاء بانهيار فلحقها "آدم" سريعًا وأخذ ممسكا بيدها:

- "هاشم" بخير يا "حلم"، ولكنه سافر في بعثه، خاصة بعمله منذ أربعة أشهر بعد حادثك بفترة قصيرة..

نزل الخبر كالصاعقة على سمع "حلم" ودارت بها الدنيا للحظات ثم استجمعت شجاعتها:

- كيف سافر بعد حادثي؟ ألم يعرف ما حدث لي!! ولمَ لم يخبرني؟!

- عرف ما حدث لك.. ولكن هذه البعثة كانت حلمًا له كما تعرفين.. واعتقد أنه انتهز فرصة أنكِ فقدت الذاكرة ورحل يا "حلم"!

أنا ورغم ضياع أشرطة ذاكرتي كلها لحظة اغتيال، إلا أني رأيت في هذه اللحظة وكأن كسفًا من الذكريات يتساقط عليّ وتنهار صور كثيرة أمام عيني.. وكأني أرى "هاشم" بكل تفاصيله وذكرياته معي.. لا أصدق أنه رحل، وفي أي قطار رحل وكل المحطات تبدأ من عندي وتنتهي إليّ.

سقطت "حلم" على الكرسي وهي تهذي بتفاصيل ليست مفهومة، اقترب منها "آدم" يحاول تهدئتها ولكن هيهات..

لا يهدأ الطفل الجائع حتى تأتيه بوالدته ولو أتيت له بكل ألعاب الأطفال، وقدمت إليه أشهى الأطعمة، والحبيب في الحب كالطفل الجائع لن يهدأ حتى يأتي إليه حبيبه..

انتفضت "حلم" من مكانها وأسرعت لتصعد لغرفتها.. وأغلقت الباب وأغلقت معه كل أبواب الحياة والسعادة.. وارتمت على فراشها منهارة

تحاول أن يحتضنها بأقوى ما يمكن وضمت نفسها بين يديها..

- لا يمكن هذا.. لا يمكن أن تخذلني خمس سنوات كاملة لا يمكن أن أنخدع في تلك السنوات جميعها.

لا أصدق أن "هاشم" كان يتلاعب بي وبمشاعري.. كان يتسلى بي فترة وجوده في مصر وهو منتظر البعثة..

لا أصدق أنني كنت قصة في حياة "هاشم"، وها قد جاءت نهايتها وهو من وضع نهايتها بيده.. وأنا؟!!

ألم يفكر فيّ ولو للحظة ومشاعري وحبي؟ .. لمَ تخلى عني وأنا في أشد الحاجة إليه.. كيف لـ"هاشم" أن يتركني في مصيبتي ويرحل.. لا أصدق أنه يتركني بين الحياة والموت ويرحل..لا أصدق أن سفره وعمله أهم مني لديه!!

ما الذي فعلته في حياتي يعاقبني القدر عليه بهذه الطريقة، وما الذي فعلته في قدري كي يتحداني بهذه الطريقة.. ويصفعني علي قلبي؟!!

ما الذي ارتكبته جُرمًا في حق "هاشم" ليحكم عليّ بهذا الحكم .. الإعدام يا "هاشم" تحكم عليّ بالإعدام؟ كيف هُنت عليك هكذا؟ ما الذي فعلته في حقك؟!

لا يمكن أن تكون أنت الذي رافقتني خمس سنين من عمري.. لا يمكن أن تكون أنت صاحب كل تلك الوعود..

كيف استطعت أن تقنع عقلي بك لهذه الدرجة؟.. كيف انصهرت بداخلي بهذا الحد.. كيف استطعت أن تهدم كل جدران قلبي وتدخله وأنت كاذب.. كيف استطعت أن تمثل عليّ خمس سنوات؟!!

لمَ دائمًا القدر يأخذ منا كل ما نريد؟ لمَ دائما يريد أن يختار لنا هو وليس نحن؟ لمَ يريد دائمًا أن يتحكم هو في قراراتنا واختياراتنا.. لمَ يريد أن يكون هو بوصلتنا وولي أمرنا؟!!

لمَ دائما يفترس كل أحلامنا لمجرد أنها عارية من سلطته؟.. لمَ دائما يريد أن يقتل حبنا لمجرد أنه عارٍ من إرادته؟!

لو مرة واحدة يتركنا نختار نحن ويُسلَّم لنا.. لو مرة واحدة يكف عن انتهاك حرمات أحلامنا وقلوبنا ومشاعرنا..

انتفضت "حلم" من ثورتها ونفضت عنها بركان غضبها ولم تعرف كيف فكرت في هذه اللحظة بذلك الكاتب وعموده الأسبوعي "أذكروني حين أغيب"، ما الذي أوصله إلى عقلها في هذه اللحظة لا تعرف.. ولكنها وجدت نفسها تفتح حاسوبها الخاص ومن ثم بريدها الإلكتروني وتفتح نافذة رسالة جديدة وضعت بخانة المرسل إليه البريد الإلكتروني للكاتب..

تنهدت بعمق ثم أرسلت إليه برسالة طويلة..

بداية جديدة

باردٌ كلُ شيء، إلا وجعي يشتعلُ، جافٌ كلُ شيء، إلا كرهي يثمرُ

كلُ الذكريات تستكينُ في بيوتِها وفي ماضٍ يحتويها..

إلا ذكرياتي؛ مازالت تجولُ الشوارعَ والحاراتْ، وتمرُ بين الأزقة وفي الممراتْ تبحث عنّي وعن ذاكرة تؤيها..

وربّما هي الآن في البرد تتجمد للأبدْ .. غير مُصدقة أنّها أصبحت ذكريات بلا هوية، بلا عنوان، بلا ماضٍ..

وما أبشع أن تفقد ماضيك، أن تتشرد كل ذكرياتك ولا تستطيع أن تجمعهم مرة أخرى، انتهت جلسات الليل الدافئة، والابتسامة التي تخرجها حين تداعبك ذكرى منهم، فرغت طاولة الشتاء من تجمعهم حولها كل بردٍ، وفرغت خزانتي وظهرت عورتها أمام الجميع..

الماضي .. فستان العذراء الذي تتباهى به أمام لياليها السوداء، هو فنجان قهوتها الذي يرسم بداخله طريقها ..

بلا ماضٍ، أين عذريتي وأين طريقي وأين أنا؟!

أدفع عمري لعمري وأستعيد منه ماضيّ، وأعطي قوتي لضعفي وأستعيد ذكرى واحدة..

إن ضاعت الذكريات من يهون علينا فقد الأهل والحبيب والصديق، من يهون علينا فقد العمر؟!!

obeikan.com

من يفسر لي .. لماذا رحل عني حبيبي؟!

"مجرد قارئة"

استلم "هاشم"، الذي كان يكتب عموده الأسبوعي مستترًا تحت اسم مستعار "مجرد كاتب"، الرسالة وقرأها ألف مرة ومرة، يبكي فيها نفسه وحبه و"حلم".. ويبكي كل شيء..

ولكنه ورغم كل شيء.. لن يعود أبدًا في قراره.. لن يعود..

*****

استيقظت "حلم" في أحد الصباحات اليتيمة التي تلت فجيعتها في "هاشم"، لتنتظر الإفطار والمجلة التي تحوي العدد الأسبوعي لذلك الكاتب، دقائق مرت قبل أن تطرق الخادمة باب غرفتها لتدخل مقبلة عليها بالإفطار والمجلة..

قبل أن تتناول أي شيء فتحت الجريدة وأتت بصفحة المقال وإذ بها تجد المقال يحمل عنوانًا جديدًا "أذكروني حين تغيب ذكرياتي وماضيّ".

وأرفق رسالتها في العمود بدلاً من مقاله، كانت مفاجأة لها لم تعرف إن كانت يجب عليها أن تفرح بها أم تكتئب، لم تعرف إن كان تعري ذاكرتها أمام الجميع هو أمر جيد أم لا؟! ولكنها على كل حال سعدت

أنه أهتم برسالتها وخصص لها عموده من هذا الأسبوع .. اتصلت بآدم ودعته لتناول الشاي معها في الحديقة، وقامت لتستعد لمقابلته..

ارتدت "حلم" بنطلونها الجينز وقميصها الأحمر القصير، الذي يأخذها لقمة أنوثتها ووضعت قليلا من عطرها ولم تنسَ أن تضع منه على أطراف يدها وتشممته وتنفست بانتعاش ولم تنس وجهها أن تعطيه لمسة من أنوثتها فأعطت شفتيها قليلاً من أحمر الشفاة، ووضعت الكحل الذي اعتادت دائمًا أن تهديه لعينيها، ثم نظرت لنفسها في المرآة.. هي حقا جميلة بخصرها المائل كنهر يصارع الرياح وشعرها المنسدل على كتفيها بلونه الكريستالى الذي يبعث في نفسها مزيدًا من الانتعاش وشفتيها اللتين أصبحتا كحبتي الكرز بعد ما وضعت أحمر الشفاة.. ثم نظرت لعينيها تلك الدوامتين اللتين دوما ما عشقهما "هاشم".. ثم ابتسمت ابتسامة جديدة عليها وكأنها تطمئن نفسها بأن كل شيء سيتغير ويعود أحسن من الماضي.. وبينما هي كذلك سمعت صوت سيارة "آدم" تدخل جراج الفيلا.. فتنفست أخيرًا، وأخذت المجلة لتستقبله بها في الحديقة.

نزلت "حلم" علي السلم بشموخها الذي اعتادته قبل الحادث.. رفع "آدم" عينيه ولم يصدق بأنها "حلم".. أين الانكسار الذي لحق بها، وأين فستانها الأسود الذي اعتادت أن ترتديه منذ خروجها من المستشفى في انتظار خبر من "آدم" عن "هاشم"..

لكنها في هذه اللحظة كانت شخصًا آخر.. قميصها الأحمر وشفتاها

وعيناها وشعرها الكريستالي يجعلونها تبدو كنجمة لامعة في عيون "آدم"... أفاقته "حلم" من دهشته عندما ربتت بكفيها على يديه:

- أين أنت يا صديقي؟

- أنا؟! لا أعرف نسيت أين أنا حينما رأيتك.. ما هذا الجمال هل اليوم أول أيام العيد أم أن كل هذا الجمال أتى فقط لاستقبالي؟!

تورد جبين "حلم" وعضت على شفتيها، فهي لم تتوقع تلك المغازلة من "آدم".. هل هي حقا جميلة؟ ألم تفقد جمالها وأنوثتها بعد الحادث وبعد غياب "هاشم" ثم تحدثت بسرعة حتى لا تلفت انتباه "آدم" إنها تفكر في مغازلته.

- لن تتغير.. ستظل هكذا لسانك يجعلني قمرًا منيرًا.. حسنًا تفضل واجعلني أحادثك فيما طلبتك له.

-حسنا وأنا أسمعك ماذا تريدين؟

- أريدك أن تقرأ هذا.

أخذ " آدم" المجلة منها واندهش في البداية لما هو مكتوب، وتلك الرسالة التي عرف على الفور أنها صاحبتها، ولكنها ما إن وصل لآخر السطر ووصل لإمضاء الكاتب "مجرد كاتب" عرفه على الفور.. إنه هو.. إنه "هاشم"، فهو يكتب في هذه الجريدة بجانب مهنة (الطب) منذ ثلاث سنوات، انتفض جسدت وبردت عروقه ورفع عينيه إليها

ببطء وتساؤل:

-- كيف وصلت هذه الرسالة إلى هذا العمود؟

-- راسلت هذا الكاتب منذ فترة على سبيل الحديث السري والبوح المكلوم ولكني وجدته ينشر الرسالة في هذا العدد!

- ألا تعرفين هذا الكاتب؟!

- لا .. أتعرفه؟

تنفس "آدم" براحة وعرف أنها مجرد صدفة، وأن مقالاته واسمه المستعار اغتالهما القدر كما اغتال معظم ذاكرتها، فرد بارتياح:

-- لا .. لا أعرفه، ولكني أعرف أنك كنت جيدة جدًا في كتابة المقالات والمواضيع الناعمة كمثل هذه طوال سنين الجامعة.

- يا إلهي هل أنا كنت كذلك؟ أنا لم أتذكر شيئا عن هذا.. أردت أن أريك فقط هذه المفاجأة..

- ستتذكرينه ككل شيء رحل وعاد..

- أسيعود كل شيء رحل يا "آدم".

عرف "آدم" حينها أنها تسأله بكبرياء مكسور عن "هاشم"، فما فقد "هاشم" لديها إلا شرخ في كبريائها وخسارته لهي جرح كبير في قلبها.

داعبها "آدم" كعادته بكلمات مازحة التي كانت تروق لمزاج "حلم"

obeikan.com

حتى عدل منه وجعل جبينها يتورد ضحكًا وفرحًا وطمأنها بأن كل شيء سيعود ويكون بخيرٍ، تحدثا بعدها عن حالتها الصحية والنفسية، وعرف من خلال الحديث أنها تتابع مقالات هذا الكاتب من فترة، لم يعرف أَهَل هذا الأمر مفيد لها أم أنه فيه خطورة وعليه إبلاغ هاشم بأن "حلم" هي نفسها الفتاة التي تراسله، وعندما شرد عن "حلم" وأخذ يفكر في الأمر لاحظت على الفور غيابه عنها فنبهته، فعاد سريعًا بذهنه إليها وتحجج بمشاكل في العمل وببعض الأمور المهمة، التي عليه إنجازها في مكتبه، فاستأذن منها وانصرف..

دخلت "حلم" غرفة مكتبها.

كانت تدخلها لأول مرة بعد الحادث.. الغرفة كلها من الخشب، حيث مكتبة تضم أضخم الكتب وسلاسل من الروايات وبعض أشرطة التسجيل.

وعلى يمينها مكتب خشبي فخم عليه برواز يضم صورتين إحداهما لها وحدها والأخرى لوالدتها ووالدها وهي، وفي منتصف الغرفة كانت هناك منضدة خشبية عليها لوح من الزجاج ومطفأة للسجائر وخلف المكتب نافذة زجاجية عريضة تنسدل عليها ستارة من الحرير ذات اللون الكريستالي لون شعرها..

تنهدت "حلم" تنهيدة طويلة وكأنها تحاول استرجاع ذكريات هذه الغرفة، ولكنها لم تر في ذاكرتها سوى الضباب..

لم تبالِ بعجزها في استرجاع تلك الصور في ذاكرتها ونفضت كل شيء من خيالها ثم طلبت من الخادمة أن تحضر لها فنجانًا من القهوة وحاسوبها الخاص، وأغلقت الباب خلفها وجلست على المكتب.

دقائق وأتت الخادمة بقهوتها وحاسوبها، فتحته على الفور وأتت ببريدها الإلكتروني وأرسلت رسالة خاصة للكاتب:

"أشكرك على هذه المفاجأة الصباحية الجميلة".. يا ليت كل المفاجآت كتلك، ويا ليت كل الصباحات كهذا!!

مالت برأسها على ظهر الكرسي وأغمضت عينيها كانت تحاول أن تسترجع أي شيء، ولكن صوت رسالة جديدة جاءها عبر بريدها الإلكتروني قطع الصمت الذي كان يخيم على المكان، انتبهت له، وفتحت الرسالة فإذا بها منه:

"يا ليت كل الرسائل كرسالتك، ويا ليت الجميع وفيّ لماضيه كوفائك، رسالتك مفاجأة لعمودي، جاءتني رسائل إعجاب عليها كثيرة والجميع كانوا يريدون أن يعرفوا صاحبتها"..

ردت هذه المرة بحزنٍ: أعتذر ولكن ربما إبقائي هكذا سرًا يعطيني حرية أكبر..

شعر وكأنها تتحدث عنه وعن اختفائه وراء اسم مستعارٍ مثلها فرد عليها: كما تشائين، ولكنني أنتظر رسائلك دومًا، وأتمنى لو أضع الكثير منها في عمودي..

أنهت "حلم" معه حديثها، وأغلقت الجهاز، وبدون سبب شعرت بضيق، فتحت الجهاز مرة أخرى، وأخذت تكتب بأشياء لا معنى لها وأخرى بمعنى ولكن بلا تنسيق، وفجأة صعبت عليها رؤية الشاشة قليلاً فأحست حينها أن عينيها ممتلئة بالدموع..

- متى ينتهي كل هذا؟!

هكذا قالتها "حلم" بألم، بضيق، بعجزٍ، بيأس..

ما أصعب أن تتحمل ألمًا لا تعرف متى نهايته!!، ما أصعب أن تتحمله دون وجه حق، دون ذنبٍ دون وعيٍ.

obeikan.com

قد نلتقي!

مرت ثلاثة شهور، تقريبًا أصبحت رسائل "حلم" لها نصيب ثابت في عمود "هاشم" في الجريدة بين كل فترة وأخرى، حتى إنه بدأ يضع بريدها الإلكتروني تحت رسائلها ليراسلها القراء، وقد كانت ردة فعل القراء تجاه رسائلها جيدة جدًا، ولكن الشيء السيئ في الأمر أن "هاشم" أبدًا لم يخطر على باله أن مراسلته الجديدة هي "حلم"، ربما لأنه كان يتابع أخبارها دومًا من خلال "آدم"، ويعرف أنها مازلت ترقد سجينة فراقه، ولا تريد الخروج من البيت أو مقابلة أحد أو فعل أي جديد.

دخلت "حلم" كعادتها غرفة المكتب التي اعتادت أن تراسله منها، ولكنها هذه المرة فتحت "الوورد" وأتت بملفٍ جديد وكتبت فيه:

" أنا لم أرد يومًا خيانته، ولكن نسيانه شهي، وأعرف أنه سيختفي طعم الوجع الذي أشعر به في حلقي حتى قلبي".

جاءت "حلم" بدفتر لها وقلم وبمنتهى الشجاعة قررت أن تكتب رواية عن ماذا.. لا تعرف ولكنها هذه المرة ستكتب.. ستكتب عنها.. وعن

هاشم.. من أجلها، من أجل أن تتخلص من كل ما بداخلها

أخذت نفسًا عميقًا وكتبت أول سطور الرواية.. وعند السطر الخامس تذكرت الإهداء المطلوب في بداية الرواية.. حينها توقفت عن الكتابة وتركت القلم ومالت برأسها على ضهر الكرسي.

لمن تكتب الإهداء؟ لو كانت هذه الخطوة تمت قبل الحادث بكل تأكيد كانت ستكتب الإهداء لـ"هاشم" ومن كان يستحقه وقتها سواه.. من يمكنه أن يصل لمكانة السطور الأولى من الرواية سواه؟.. من يجرؤ على أن يحتل الصفحة الأولى سوى "هاشم"، ولكن الآن من سيحتل الصفحة الأولى .. لمن سيُكتب الإهداء؟!.. صعُب عليها التفكير في الأمر فتركت كل شيء وخرجت من الغرفة، ونزلت إلى حديقة منزلها.. مشت فيها بين أحضان الزهور والورود التي تملأها.. هي حتى الآن لا تستطيع تصديق أن "هاشم" خذلها ورحل.. كم تتمنى لو تقابله أو تتصل به تفهم منه كيف حدث هذا، هي تشعر أن هناك شيئا غامضا فيما حدث، ولكن كيف تعرف والشخص الوحيد الذي يستطيع أن يحل ذلك الغموض هو الشخص الوحيد الذي لا يمكن الوصول إليه!

هي لا تتذكر شيئًا عما كان بينهما سوى أن في قلبها حبًا كبيرًا يصرخ لـ"هاشم"، وهناك نفس بداخلها تحترق كل ليلة شوقًا له، بكت ككل لحظة تبكي فيها منذ الحادث، ككل لحظة تتذكر غياب "هاشم"، ولحظها التعس؛ هي تتذكره في كل لحظة من يومها..

قاطع بكاءها صوت رنين هاتفها في جيبها، كفكفت دموعها وأخرجت هاتفها فإذا برقم طبيبها المعالج ردت عليه وأخبرها بأنها يجب أن تأتيه لتبدأ جلساتها النفسية، هي بالفعل بحاجة لمثل هذا العلاج.. هي بالفعل مريضة.. مريضة بـ"هاشم".. بفراقه.. بنسيانه.. وافقت له وحددا ميعادًا للجلسة ثم أغلقت الهاتف، وقررت أن تعود لغرفة المكتب وتعاود في كتابة الرواية، وقررت ألا تفكر في الإهداء حتى نهاية الرواية.

مرت ست ساعات كاملة و"حلم" في الغرفة منهمكة في كتابة الرواية وكانت الأفكار تنسدل على الأوراق، وكأن القلم يعرف عنها ما لا تعرفه عن نفسها.. أو بالأدق ما لا تتذكره عن نفسها.

توقفت بعد هذه الساعات بعد ما شعرت بألم في رقبتها ويدها، نظرت في ساعتها وأدركت أن الوقت قد حان لتصعد لغرفتها وتبدل ملابسها وتريح نفسها قليلاً، صعدت وبدلت ثيابها رمت نفسها على الفراش، لأول مرة منذ يوم الحادث تشعر بأنها منهكة، وأنها تفعل شيئًا مفيدًا في يومها ولكنها سرعان ما غرقت في النوم حتى الصباح.

استيقظت فجأة من نومها واستنكرت كيف نامت كل هذه الساعات ونظرت في ساعتها، ووجدت أنه باقي ساعتان على موعد الطبيب قررت أن تنهض وتأخذ حمامها الساخن لتنشيط جسمها..

ارتدت بنطلونها الأسود وقميصًا ذا اللون الوردي، واهتمت بشعرها جاءت به مائلاً على كتفها، ابتسمت حين داعبت أشعة الشمس

خصلات شعرها فجعلته كسلاسل الذهب اللامع نظرت لمرآتها نظرة أخيرة، وأخذت حقيبتها ونزلت، كان "آدم" ينتظرها في سيارته وما إن دخلت وحيته:

- أراكِ كل يوم أجمل من اليوم السابق!

- أتغازلني إذًا؟

ابتسم لها ثم شغل محرك السيارة وانطلقا سويًا، سألها عن أخبارها وكيف كان يومها بالأمس، أخذهما الحديث حتى وجدا نفسيهما أمام المستشفى.

دخلا وكانا منهمكين في حديثهما، وفجأة اصطدمت "حلم" برجل فأدارت له حتى تعتذر وأدار معها "آدم" ليصطدم بـ وجه "هاشم".. فقد كل من "آدم" و"هاشم" القدرة على النطق ولكن "حلم" ابتسمت له بطريقة عفوية وقالت له بكل خجل:

- اعتذر أنا المخطئة.. تقبل اعتذاري يا..

أدرك "هاشم" أنها لم تتذكره ولم تتذكر وجهه حتى بعد أن رأته، تنفس كل من "هاشم" و "آدم" بارتياح ثم مد "هاشم" لها يده مصافحا..

- ياسين.. اسمي ياسين.. لا تعتذري لم يحدث شيء.

- حسنًا عن إذنك.

أدارت "حلم" وجهها واستنكرت الدهشة المرسومة على وجه "آدم"،

ثم مسكته من يده واستكملا سيرهما.

وقف "هاشم" يتابع بُعدها عنه حتى غابت عن نظره ثم سند برأسه إلي الحائط وترقرقت دمعة من عيونه، ثم انصرف فورًا قبل أن تراه مرة أخرى.

قاطعت "حلم" سكوت "آدم" بسؤالها:

- "آدم" أتعرف هذا الشخص؟!

- أنا؟! لا أبدًا..

- أنا أشعر وكأني رأيته من قبل ولكن أين ومتى، ومن هو لا أذكر، ثم إني لا أذكر أني أعرف شخصًا اسمه ياسين يومًا .

- فعلاً.. لم يكن هناك يوم رجل تعرفينه في حياتك اسمه ياسين.. هيا بنا لندخل للطبيب..

دخلت لتبدأ جلستها مع طبيبها الذي أشاد بتحسن حالة ذاكرتها، فهناك تطور ملحوظ وطلب منها أن تعاود على سماع أشرطة التسجيل القديمة لها هي والعائلة وأصدقائها، والصور وكل ما يحتوي الماضي بين يديه.

خرجا من المستشفى وأوصلها "آدم" لبيتها ثم انصرف وهو في طريق عودته لمنزله رن هاتفه فإذا برقم "هاشم"، الذي سجله باسم رقم خاص حتى لا تراه "حلم" يومًا.

- آلو .. "هاشم" كيف حالك الآن؟!

- الحمد لله.. اعتذر عما حدث ولكني كنت في المستشفى أسأل طبيبها عن حالتها وأُنهي بعض الأوراق اللازمة لإنهاء عملي في المستشفى.. لأفرغ للخطوة التالية، وأيضًا حتى لا يتكرر ما حدث اليوم مرة أخرى.

- "هاشم".. أشكرك على ما فعلته اليوم وسرعة إدراكك للموقف.

- لا تنسى أن قرار البعد كان قراري فاطمئن لن آتي اليوم بعد أن استعادت حياتها أدمر كل شيء

فقط طمئني كيف هي الآن؟

-بخير.. تكتب رواية جديدة ولكنها تأبى أن تفصح عن قصتها.

-- ممتاز كن دومًا بجانبها يا "آدم" لا أوصيك بـ "حلم".

-- بالتأكيد يا "هاشم" حافظ أنت على نفسك وأنا سأطمئنك عليها كل فترة.

-- أشكرك يا "آدم".

وانهيا المكالمة وتنهد كل منهما بارتياح لمرور الموقف على خير.

ترك "هاشم" هاتفه من يده وشغله التفكير في الرواية التي تكتبها "حلم" يا تُرى ما ستكون قصتها هل ستكتب شيئًا عنه؟ وإن كتبت كيف ستصوره!! حبيبًا وتحكي عن أجمل سنين العمر التي مرت بينهما؟ أم ستصوره شيطانًا طاغيا غدارًا وتحكي عن خذلانه لها، وأنه أكبر غلطة

obeikan.com

في حياتها.. ولكن كيف ستحكي عن أجمل سنين، وقد أصبحت لا تذكر منها إلا خاتمتها؟!

تتهد بألم، هذه الفكرة آلمته كثيرًا أن يأتي اليوم الذي تكتب فيه "حلم" عنه بهذه الطريقة بعد ما كتبت مقالات الجامعة، وكان دومًا هو المقصود بها، كان دائمًا هو بوصلة ترشدها للفرح كان هو فنار الحب الذي تهتدي به كلما ضاقت بها الطرق.

وكم من قصيدة كُتبت ولم تنشر إلا على صفحة الرسائل التي بينهما على موقع "فيس بوك".. وكم من كلمات العشق نسجت بخيوط السعادة لتكوّن له ثوبًا من كل معاني الحب والحنين كان يهدي له هو وحده فقط.

كيف يمكن أن يأتي اليوم الذي يتقطع فيه هذا الثوب وتتقطع كل الخيوط وتُنسج "حلم" ثوبا آخر من خيوط الكرة والغضب لـ"هاشم" ليرتديه كلما قرأ روايتها.

*****

شهران و"حلم" لم تخرج من بيتها لانشغالها بروايتها الجديدة ومازالت تأبى أن تفصح عن قصتها لـ "آدم"، وبعد أن كان يحادثها "آدم" ليلاً ليطمئن عليها رفضت هذا الأمر مؤخرًا ورفضت أن تفصح عن السبب ولكن من داخلها كانت ترفض أن يحل أحد محل "هاشم"، رغم أن "آدم" لا يحادثها كحبيب، ولكن يكفي أنه يأخذ وقتًا كان ملكًا لـ "هاشم" يومًا ما، ولكنها رفضت أن تخبر "آدم" عن هذا السبب حتى

لا تجرحه بأن "هاشم" الذي خذلها وهجرها مازال له مملكة بداخلها تأبى أي أحد أن يطأ بقدمه بداخلها حتى "آدم"، ذلك الشخص الذي لم يتفق مع الجميع ومع القدر عليها، كما فعل الباقي حتى "هاشم".

هذا كان شيئًا يضايقها ويؤلمها إن بعد كل ما فعله "هاشم" فيها مازالت عارية من ثوب النسيان.. لا تدري لماذا قلبها مازال عاريًا، كلما مر عليه اسم "هاشم" أحست برجفة فيه!! ... لا تدري لماذا لا ترتدي ثوب الكره والغضب منه من داخلها، مازال بداخلها شيء عارٍ يرفض الاستسلام للاقتناع بما فعله "هاشم".. مازال متمسكا به وبأنه الحب الوحيد في حياتها.

مازال هناك شيء عارٍ يرفض ارتداء ثوب سوى ثوب الحب لـ"هاشم"، شيء مؤمن به.

وهل الكفر شيء سهل علي من يؤمن بشيء حد اليقين والخشوع؟

هل هدم معابد الحب التي شيدها "هاشم" بداخل قلب "حلم" شيء سهل؟

انتهي الشهران وانتهت معهما "حلم" من روايتها واتصلت بـ"آدم"، وطلبت منه أن يأتي.

وصل آدم لها وهو أيضًا مترقب يريد أن يعرف ما الذي كتبته "حلم" فهو متأكد أنه سيجد الكثير والكثير مكتوب لـ"هاشم" ولكن كيف!! لا يدري.. وصل إليها ومجرد أن صافحها:

- انتهيت وأخيرا ستقرأ الرواية.

- أخيرًا.. الحمد لله أين هي؟!

- تفضل..

اندهش "آدم" من اسم الرواية التي حملت اسم (ظننته رجلاً) ولكنه اكتفى بالصمت واستأذنها في الانصراف لإكمال عمله سريعًا والعودة لمنزله للشروع في قراءة روايتها.

أنهى "آدم" عمله وعاد فورًا لبيته وللرواية.. أعد لنفسه كوبًا من الشاي وجلس على سريره وفتح الرواية..

وكانت صدمته الأولى حين قرأ الإهداء.

أهدي كلماتي لمن كفرت به بعد أن وصل إيماني به حد الخشوع.

إلى فجيعتي، وخيبتي، وذلتي، وذنبي، وخطيئتي..

إلي من ظننته رجلاً!!

حينها تأكد "آدم" أن الرواية ستخط سطورًا كثيرة عن "هاشم"، وستكون سطورًا مؤلمة جدًا.. رمى نفسه بداخلها ولم يستسلم للنوم إلا بعد ما أنهاها كلها ولكنه ما إن وصل للختام حتى أغلق الرواية وردد في نفسه:

- هذا ظلم، "هاشم" رجل لن يتكرر، لا يا "حلم" أنت ستقتلينه بهذه الرواية.

obeikan.com

اتصل بها في الصباح وطلب منها أن تنتظره فهو سيأتي لها.. ارتدت ثيابها وانتظرته حتى استقبلته في ريسيبشن الفيلا بحفاوة وترقبٍ لرأيه، أخذ يفكر كيف سيعبّر عن رأيه في الرواية، وكيف سيخبرها أنها تجني على رجل كم أحبها وأخلص لها.. استجمع كل شجاعته وابتسم أمامها ثم قال لها:

- الرواية أكثر من رائعة.. أنا أنهيتها في ظلام الليل فقط، كل سطر يجذبك للسطر الذي يليه.. حقًا أسلوبك كان رائعا وتعبيراتك وكلماتك ووصفك واختيارك للأبطال ولكن.. كم قسوتي على البطل وأظهرتيه في صورة بشعة سيكرهه كل من يقرأ الرواية.

- هذا هو المطلوب لن أترك أحدًا إلا ليكره البطل ويشعر كم عانت البطلة عندما ابتلاها الله بهذا الرجل.. سأجعل الجميع يتألمون كما تألمت ويدعون عليه معها وينعون الرجولة فيه!

- "هاشم" والبطل وجهان لشخصية واحدة؟

- نعم .. لذا كرهه واجب، وهذا ما أنوي فعله يا "آدم" قريبًا جدًا سيخرج "هاشم" بأسطوله وجيوشه وحصونه من داخلي..تأكد قريبا جدا!!!..

تنهد "آدم"، ولكن هذه المرة لم يعرف أهذه تنهيدة ارتياح لأنها ستنسى "هاشم" وتُخرجه من حياتها وتستكمل الحياة دونه؟!

أم هذه تنهيدة وجع لكره "حلم" بهذه الدرجة لـ"هاشم"، ولأنها ستنسى

رجلاً لن يتكرر في الحياة مرة أخرى.

قاطعت "حلم" سكوت "آدم" حين قالت:

- وعدتني أن انتهي من كتابة الرواية وأنت عليك مهمة النشر والتوزيع.

- وأنا عند وعدي طبعًا سأتحدث لدار النشر ونقوم بالتوزيع بعدها سأجعل الجميع يقرؤنها.. ثم حدث نفسه: إلا "هاشم" لا أتمنى أن يقرأ الرواية أبدًا.

خرج "آدم" من بيت "حلم" على دار النشر وعرض الرواية، وكانت هناك كاتبة معروفة طلبت أن تقرأها وأخذتها، بعدها بيومين اتصلت بـ"آدم" وأبدت إعجابها الشديد بالرواية وأنها تنظم لحفل تكريم أصحاب الروايات الشباب، وأنها تعتقد أن هذه الرواية ستحتل المركز الأول إن دخلت ذلك الحفل وعُرضت على لجنة التحكيم.. وافق "آدم" واستأذن "حلم" التي فرحت كثيرًا لأن روايتها حظيت بذلك الإعجاب من كاتبة مشهورة كهذه وسجلت اسمها واسم روايتها في المسابقة.

دخلت "حلم الصواف" المسابقة ونالت روايتها إعجاب جميع الكُتَاب، وفازت بالمركز الأول، وجميعهم علقوا على قوتها في وصف البطل وشخصيته القاسية، على قدر ما أرضاها هذا، وأن الجميع شعر بحقارة وغدر البطل كما تشعر هي، على قدر ما أن الجزء الباقي بداخلها الذي مازال يؤمن بـ "هاشم" انجرح كثيرًا وبكى كثيرًا.. غضب في هذه اللحظة من "حلم" و لم يرضَ عنها ولم يبارك لها على فوز روايتها..

ارتمى في وجعه وحيدًا يُنعي رجلاً لن تراه مرة أخرى في حياتها، ولكن لم يكن ذلك الجزء وحده من يبكي من وجعه على "هاشم"، كان "آدم" أيضًا يجلس في الصف الأول من القاعة ويبكي وجعًا على "هاشم"، الذي لا يستحق أن يكون هو بطل تلك الرواية.

خرج الاثنان من دار النشر بعدما اتفقا على النشر والتوزيع وكل الأمور المطلوبة لتزور روايتها الأسواق والمكتبات قريبا.

ركبا السيارة وشغل "آدم" المحرك ومعه موسيقى هادئة.. كلاهما يعرفها ويحبها جدًا، تحركت السيارة وأسندت "حلم" رأسها للوراء وانغمست بعقلها في صورة الشجر المتوالي على جانبي الطريق، والذي يرسم لوحة فنية خاصة لحالتها، كانت السيارة كدور للعرض المسرحي الذي يدور أمامها من تتابع الأشجار، ومما يتخلله من أحداث اليوم التي مرت في بالها واسم "هاشم"، ومحاولة لميلاد وجهه بداخل ذاكرتها من جديد.. ظلت تتابع الأشجار على تلك الموسيقى وهي تتمنى لو تطغى على صرخات قلبها، وهو يرفض تلك السعادة التي تجتاحها بعد ما نجحت في أن يكره الناس البطل بهذه الدرجة ولكن.. هيهات..

واندمج أيضًا "آدم" مع الموسيقى وهو يفكر في حال "هاشم"، حينما تقع يده على هذه الرواية ويرتمي بداخل أحضانها.

ما الذي سيحدث.. هل يتوقع أن "حلم" ستصوره بهذه القسوة.. هل سيتألم؟ هل سيبكي.. أيحدث له شيء؟!

ولكن أكثر شيء كان يخشاه أن يتهور "هاشم" بعد قراءة الرواية ويظهر مجددًا ليدافع عن نفسه وعن صورته، بعد ما عرف كيف تبدو صورته بداخل "حلم" الآن!!

obeikan.com

وجه جديد

في غضبٍ ألقى "هاشم" بكوب المياه الذي بجانبه في المرآة بعد ما انتهى من قراءة الرواية.. نظر لنفسه في بقايا المرآة وفي داخله صراع بين الرجل والحبيب.

الرجل يصرخ فيه: ألم يكن هذا الذي تتمناه، ألم ترحل بهذا الشكل المفاجئ وفي هذا الظرف الصعب عليها لتحصل على كرهها للأبد؟ ... ألم يكن اختفاؤك وخبر سفرك لبعثة العمل وإنهاء أوراق العمل في المستشفى وإنكارك لنفسك حين رأتك هناك كل ذلك خطوات في طريق الهدف منه تدمير كل ما بداخل "حلم" تجاهك من حب؟!.. هدم كل معابد الحب.. أن تكفر بك بعد إيمانها..!

لمَ الاعتراض؟! الآن كل ما تمنيته حدث.. الكفر بك أعلنته في إهدائها لك، وكرهها لك وصلك في وصفها لصورة البطل وكل معابد الحب التي بنتها بداخلها هدمت في كل سطر من أسطر الرواية.

ولكن الحبيب يعترض.. ثمة كبرياء للحب يستيقظ حين يبدأ في السقوط، حين يهينه أحد، حين يكفر به أحد وكبرياء حبه قد استيقظ

openkan.com

الآن.. منذ متى والحب يسير وفقًا لخطوات نرسمها وأهداف نرجوها.. منذ متى والحب يرضى لنفسه أن يهان بهذا الشكل وأن يداس عليه بهذه القسوة؟!!

"هاشم" الحبيب الآن يرفض صورته لدى "حلم".. الآن الحب أناني يرفض تشويه صورته لهذه الدرجة، ليس حبًا في نفسه، ولكن حبًا في "حلم" وتعلقًا بها وحزنًا عليها أن ترى نفسها مخدوعة ومصفوعة من القدر لهذه الدرجة.. أن ترى نفسها ذليلة لهذه الدرجة.. يستحيل بعد كل هذا الحب والقوة أن يراها "هاشم" على هذا الوضع.. فهو يريد منها أن تنساه ولكن ألاّ تتحول لذئب يكره كل من حوله ويفترس كل من يقترب منه.. كيف يتوقع أن تحب بعده كما يتمنى بعد أن أصبح الحب في عينيها أكبر خديعة تضحك بها الدنيا على القلب لتصفعه في النهاية وتسخر من ذله وضعفه وغبائه.

*****

استيقظت "حلم" في التاسعة صباحًا، وظلت في فراشها تتابع المجلات التي وصلتها، والتي نشرت خبر الرواية الجديدة وبعض الورود والإهداءات التي وصلتها إعجابًا بروايتها.. ثم دخلت عليها الخادمة بباقة ورد كبيرة من التوليب الذي تعشقه بلونه البنفسجي.. فأخذت الكارت..

(روايتك علمتني كيف يكون الخذلان صعبا وكيف يكون الكره أمرًا

مؤلمًا)..

ياسين..

اندهشت حين وقعت عيناها على الاسم وبسرعة شديدة تذكرت الرجل الذي اصطدمت به في المستشفى، لا تعرف لماذا كانت على يقين بأنه هو نفسه ذلك الشخص الذي بعث بباقة الورد.

نهضت من فراشها سريعًا وتذكرت أن اليوم هو موعد لقاء طبيبها المعالج، وأن "آدم" سيمر عليها بعد ساعة.. أخذت حمامها بسرعة وارتدت ثوبًا أسود وزينته بسلسلتها الذهب وشعرها الكريستالي الناعم أنهت أمورها سريعًا ثم سمعت صوت سيارة "آدم"، نزلت وركبت معه وانطلقا.. وهما في الطريق حكت له عن أخبار المجلات عنها والإهداءات المستمرة التي ترسل لها إعجابًا بالرواية ثم سكتت للحظات وأعادت للحديث:

- نسيت أن أخبرك وصلتني باقة من ورد التوليب اليوم، وكان الكارت يحمل كلمات غريبة جدًا في معناها، والأغرب أن الإمضاء كان من شخص يدعى "ياسين"!!

- أين المشكلة وما تلك الكلمات؟

- المشكلة ليست في الكلمات ولكن لدي إحساسًا قويًا بأن هذا الشخص هو نفسه الذي اصطدمت به في المستشفى في موعدي السابق مع الطبيب!

ما أن أتمت جملتها حتى ضغط "آدم" على الفرامل فجأة وتوقفت السيارة اندفعت فيها "حلم" إلى الإمام.

- ما الذي حدث يا "آدم" لمَ توقفت فجأة؟

- ألا يوجد في مصر بالكامل سوى شخص واحد اسمه "ياسين" لتربطي بين الشخص الذي بعث بباقة الورد بالشخص الذي اصطدمتِ به في المستشفي؟

- هل توقفت فجأة وكدت أن تصيبني لهذا السبب؟!

- اعترضت فقط علي فكرتك.

- لا أظن أنه السبب.. هل تخفي عني شيئًا يا "آدم"؟

- وما الذي أخفيه عنكِ؟.. أني أنا صاحب باقة الورد واستعرت اسما مثلاً لأخفي نفسي؟

وضحك بسخرية يريد أن يخفي ارتباكه للسبب الرئيسي.. ولكن نظرات "حلم" كانت تدل على أنها لم تقتنع بعدُ بكلام "آدم"، ولكنها اكتفت بإيماءة بسيطة وابتسامة خفيفة، وطلبت منه أن يكمل الطريق

لم يتحدثا بعدها طوال الطريق حتى وصلا للمستشفى ودخلت للطبيب واستأذنها أن يجري مكالمة ويعود لها سريعًا..

خرج "آدم" لحديقة المستشفى وآتى برقم "هاشم" واتصل به أكثر من خمس مرات، ولكنه لم يجب عليه فبعث له برسالة:

obeikan.com

(عليك أن تحادثني فورًا عندما تقرأ رسالتي) وعاد إلى الداخل مرة أخرى.

أنهت "حلم" جلستها مع الطبيب وخرجت هي و"آدم" وركبا السيارة لم ينطق أحدهما بكلمة للآخر، وفجأة قطع صمتهما رنين الهاتف الخاص بـ "آدم".. أمسكت "حلم" بهاتفه فقد كان بجوارها ونظرت للشاشة ثم ابتسمت ابتسامة ساخرة:

- عشنا وشفنا؛ رقم خاص يتصل بك.. رقم من؟ ما اسمها أخبرني بالله عليك.. أتحب دون علمي يا "آدم" بيه؟!

انتفض "آدم" حين سمعها وهي تقول "رقم خاص"، ولكنه أظهر اندماجه معها في سخريتها بأن يكون المتصل فتاه وقال لها وهو يداعبها:

- أتظنين أن من يستوطن في حياته قمر مثلك يمكن أن ينظر لأي نجمة من النجوم؟!

- أتظن أني سأصدقك هكذا، ستترك الرقم الخاص يتصل كثيرًا.. رد عليه.

- لن أرد على أحد وأنا معك.

- يا إلهي ومنذ متى وأنت تتصرف هكذا!

- منذ هذه اللحظة.

openkan.com

وابتسم لها.. وابتسمت له ولكن هناك أشياء في نفس "حلم" بدأت تقلقها بشأن "آدم"، وتعرف أنه يخفي عنها شيئًا وشيئًا ليس صغيرًا، ولكنها لن تلحُ عليه في معرفة الأمر إن كان لا يريد البوح به..

أوصلها البيت وألحت عليه أن يدخل يشرب معها فنجانًا من القهوة ولكنه رفض تمامًا وتحجج بأنه مشغول جدًا.. لأول مرة "آدم" يكون مشغولا عن "حلم".. وهذا ضايقها أكثر وأكد لها قلقها من ناحيته.. "آدم" يخفي شيئًا.

ركب "آدم" سيارته واتصل بـ "هاشم" وما إن رد عليه:

- أنت ياسين الذي أرسلت الورد لـ "حلم"!

- نعم أنا..

- لمَ يا "هاشم".. ألم تقل إنك لن تظهر مجددًا أنا لا أصدق أخيرًا أنها بدأت تعتاد غيابك وتنشغل في الكتابة والرواية الجديدة.

- تقصد حكم الإعدام الذي أصدرته "حلم" على "هاشم" في الرواية؟!

- "هاشم" أنت أيضًا حكمت عليها بالإعدام يوم رحلت عنها، هذا من وجهة نظرها، اجعلها ترد لك الحكم علّها تستريح بهذه الطريقة.

- "آدم" أنت قرأت الرواية وحزنت عليّ أنا ولكن كان الأفضل أن تحزن على "حلم" كل من سيقرأ الرواية سيشفق على "البطلة"، ويتعاطف معها ولا أحد سيشفق على الكاتبة.

" آدم" الكاتب لا يؤلف شيئًا من الخيال.. دومًا يمزج الخيال بعاطفته وتجاربه وخبراته ليُخرج لنا رواية أو قصيدة أو مقالا.

وهذا ما حدث مع "حلم"، هي من تستحق أن تشفق عليها يا "آدم" وليس أنا.. هي من تستحق أن تبكي وتحزن عليها وليس أنا .

أتعرف لماذا؟

أن تكتب عني "حلم" وصفا بهذه الطريقة وأن تُخرج في النهاية رواية بهذه القسوة والكره والغضب يعني أن القلب الملائكي الذي عرفناه أنا وأنت سنين تغير كثيرًا وبدأت القسوة تتخلله ويعرف معناها ويستطيع الكتابة عنها.

أتتذكر يا "آدم"، حينما كنا نحاول معها أن تكتب ألوانا أخرى في المجلات غير الحب والطبيعة والجمال.. فتجيبنا بأن هذا هو ما بداخلها ولا تستطيع أن تكتب عن شيء سواهم. وكيف تكتب عن شيء لم تمر به أو تعرفه أو تعرف معناه، لا تعرف كيف تكون القسوة.. كيف يكون الغدر.. كيف تكون الخيانة.. والآن "حلم" كتبت عن كل هذه المعاني في الرواية..

هذا يدل على ميلاد كل هذه المعاني السيئة بداخلها.

عرفت لمَ تستحق الشفقة يا "آدم" ويجب ألا نتركها هكذا؟!

فأجابه "آدم" بأقل حدة: وماذا فعلت أنت بإرسال باقة الورد هذه، لمَ

تريد إظهار ياسين في حياتها؟!

- أردت فقط أن أخبرها بأنها أوصلت لـ"هاشم" ما كانت تريد إيصاله.

- هاشم.. أنا مقدر جدًا لموقفك وما أنت عليه ولكن أرجوك أنا لا أصدق أنها وصلت لهذه المرحلة من السكوت على الأقل، أرجوك أبتعد.

- تقصد السكوت الخارجي وهي تصرخ من داخلها، "حلم" تقف على فوهة بركان عاطفي لحالة عشقية ستثور قريبًا يا "آدم"، ولكن كما شئت أنا لن أظهر مرة أخرى.

وأغلق الهاتف قبل أن يسمع شيئًا آخر من "آدم" يؤلمه أكثر.

تنهد "هاشم"، وأغمض عينيه وأسند برأسه إلى ظهر كرسيه، وقرر أن يغيب، ولكن هذه المرة يغيب عن كل شيء، عن "حلم" و "آدم" حتى مقاله الأسبوعي.. هذا في الشرائع النفسية لا يسمى غيابا، إنما هروب.. نحن حينما نفشل نهرب، حينما نتوجع نهرب، حينما نشعر بأن أيدينا ما عاد بإمكانها أخذ حقنا الذي سلبته منا الحياة.. نهرب..

نحن جبناء بحجم الحب الذي بداخلنا لأحدهم.. نحن تعساء بحجم السعادة التي شعرنا بها يومًا معهم.. لم يعرف "هاشم"، وهو يخطط للهروب، بأن هناك طرفًا آخر يراقبه بصمت، بخبث، وأنه أقحم نفسه دون إذنه في هروبه، وأنه خطط له تمامًا كما خطط له "هاشم".. إنه قدره.

ثمة هروب يتم ليداوي جرحًا، وآخر ليفتك بجرح آخر.. ثمة أقدار لا تغفر لأصحابها جريمة إغفالهم عنها.. واستنادهم على عكازٍ سواها.. والآن حان الموعد يا "هاشم".. لتعاقب على جريمتك.

فلم يكن "هاشم" يدرك أن الهروب من حب ليس بهذه السهولة، وأن ثمة حرائق.. ستعلق بثمار حبه حتى تأكله وتمسك بثوب هروبه حتى تعيده إليها وتحرقه معها..

غاب "هاشم".. هرب هاشم، كلا المعنيين كانا لا يشكلان فرقا مع "حلم".. تلك التي صدمت كثيرًا لاعتذار المجلة عن عدده على مدار أسبوعين متتاليين.. أخذت تقلب الصفحات كل عدد عله يظهر فجأة.. ولكن دون جدوى.. جاءت بكل أعداده القديمة وأخذت تقرأها.. كانت كلماته لها تأثير خاص عليها.. كانت تريد أن تقرأه خاصة هذه الفترة ليخبرها بأحرفه إن كان ما فعلته صوابًا أم لا؟!.. أكان عليها أن تعطي فرصة للماضي أم تحرقه مثلما فعلت في روايتها؟!.. روايتها.. لن تخبره أبدا أنها كتبت رواية.. لن تخبره أبدا من هي، هي تحب تلك العتمة التي تحف بها نفسها.

يا ليتنا نتقابل مع الجميع دون هوية، فإذا فقدنا الذاكرة ظلت رائحتهم عالقة بنا، وظلت مشاعرنا إليهم بداخلنا كما هي.. لم يتغير شيء ولم نفقد شيئا.. الآن "حلم" تعترف بشده أنها تفقد ذلك الوحيد الذي كان يشعر بها وتشعر أنه يكتب إليها وحدها لا إلى الجميع..

ملّت "حلم" من انتظار عدده الجديد بعد أن فقدت الأمل بعد غيابه خمسة أعداد متتالية.. وزاد مللها حين أصيبت بنزلة برد شديدة.. اضطرتها إلى الجلوس في فراشها فترة ليست بالقصيرة..

كانت "حلم" تتحدث بين كل حين وآخر إلى إحدى صديقاتها التي وجدت في محادثتها راحة كبيرة بعد الحادث بعد أن رفضت الجميع.. «رنا» عندما زارتها بعد الحادث أخبرتها أنهما كانتا زميلتين في نفس الجامعة ونفس الصف الدراسي، شعرت حلم تجاهها براحة لم تشعر بها تجاه كثير من صديقاتها اللاتي حاولن تذكيرها بهن.. فبقيت على اتصال بـ«رنا» بين كل حين وآخر..

فاجأها في يوم من أيام تعبها اتصال «رنا» الذي أيقظها من نومها لتخبرها أن تشتري مجلة هذا المساء وأعطتها اسم المجلة، وحين سألتها لمَ..؟ لم تخبرها ولكنها أصرت عليها بشرائها.

- نهضت "حلم" من فراشها وكانت الساعة قد تجاوزت الرابعة عصرًا، تناولت فنجان قهوتها، لم تنهه وإنما ارتشفت منه قليلاً، لم تكن في حالة مزاجية تسمح لها بالاستمتاع بتناوله كاملاً، ارتدت ملابسها، اختارت طاقمًا بشيء من اللامبالاة ووضعت مسحة من الميكب على وجهها، كان لابد منها، لأن وجهها كان شاحبًا من المرض والملل واللاشيء الشاسع الذي تعيش فيه منذ أيام.. لم تنظر للمرآة المجاورة للباب كعادتها عند النزول، ربما كل ما حدث لها الفترة السابقة أصابها بشيء من الخمول والكسل.

- وقفت "حلم" على ناصية الشارع تنتظر تاكسي.. ولكنها ما انتظرت سوى دقيقة ثم عدلت عن هذه الفكرة، كانت بحاجه إلى السير وحدها لتتنفس الهواء قليلاً.. كانت الساعة لم تتجاوز السادسة بعد، فلم يكن الليل تمكن من السماء بقوة، ولم يكن النهار مازال مقاومًا أيضًا بنفس قوته، أعجبها الجو كثيرًا فقررت أن تسير فيه لأقرب مكتبة لتحصل على المجلة التي أخبرتها بها صديقتها.. الجو كان رائعًا حقًا كورنيش النيل، ذلك الطاغي الذي يملك سحر الجمال دائمًا فلا يتغير مهما حدث، ومهما تقدم العالم من حوله، لم تفكر بشيء طوال سيرها سوى في هذا الجو الهادئ.. خطر على بالها في هذه اللحظة ما قاله العظيم هيرودوت عن مصر ـ حين جاء إليها خاصة ـ حديثه عن جوها ونيلها قال: "لمصر جو غريب ونيلها مليء بالحياة والحركة والحب".

صدق هيرودوت فمن ينكر الحياة التي يبعثها النيل في النفوس والأمل الذي يعطيه لهم بخلوده.. لم تشعر "حلم" بالوقت الذي مضى وهي تسير على النيل وتفكر فيه وكأنها ريفية نزلت المدينة لتوها..

وصلت إلى مكتبة كبيرة، فراحت على فورها إلى قسم الجرائد والمجلات وقفت أمامها، ثم حاولت استرجاع اسم المجلة التي أخبرتها بها صديقتها.. فلم تفلح.. ما هذا التشويش الذي يصيبها؟!

اتصلت بصديقتها ثانيةً وسألتها:

أعيدي عليّ مرة أخرى اسم المجلة؟-

قالت لها بعد دهشة منه :

- أنت بتحبي جديد؟

انفجرت "حلم" ضاحكةً ثم اعتذرت عن عدم تركيزها هذه الفترة فأعادت سؤالها:

فأجابتها صديقتها باسم المجلة، أغلقت معها وراحت تبحث عن المجلة إياها..

اشترت نسخة من المجلة وخرجت في ضيق، ولكن الفضول انتابها فور خروجها لتعرف ما بالمجلة يدفع صديقتها إلى طلبها هذا! فاتخذت مقعدًا على الكورنيش وفتحت الصفحة الأولى؛ كانت كغيرها من الصحف الأولى للمجلات تضم العناوين الكبيرة والأحداث المهمة..

ردت بملل: غيره..

ثم قلبت الصفحة لتجد مقالاً لأحد الصحفيين الكبار، ولكن لم يكن لها مزاج لتلقي حتى نظرة على العنوان، جاءت بالصفحتين الثالثة والرابعة كذلك، بدأت تشك بأن صديقتها اخترعت هذه الخدعة فقط لتخرجها من البيت بعد انعزالها فيه لأكثر من أسبوعين.

ردت بنفاد صبر:

- لعنة الله على صديقتي إن كانت هذه المجلة مجرد فخ لخروجي من البيت.

كادت أن تغلق المجلة المتبقي منها حوالي سبع صفحات حتى وقع بصرها على عنوان في الصفحة الخامسة يحمل (اذكروني حين أغيب)..

إنه اسم مقاله، إنه هنا، إنه هو، إنه يعود.. ولكن لمَ غير المجلة.. ولكن لم يكن هذا مهمًا لـ "حلم" بقدر ما كان يهمها أنه عاد إلى الحياة من جديد..

لم تستطع أن تقرأ كلمة واحدة من مقاله لعدم استيعابها للمفاجأة، كما أنها من عادتها أن تقرأ مقالاته في حديقة منزلها أو في فراشها ومعه ضوء "الأباجورة"، أغلقت المجلة وانطلقت إلى بيتها

في طريقها كانت تتنفس الهواء وكأنها تتنفسه للمرة الأولى، من يصدق أنها نفس الفتاة التي كانت تمشي بانكسار ومزاج عكر في طريق مجيئها من البيت، على يقين بأنها لو نظرت في مرآتها الآن لما عرفت نفسها، فمسحة الجمال التي وضعتها على وجهها لتخفي آثار التعب والسهر والبكاء رجوعه كفيل بأن يزيل كل هذا دون الحاجة إليها.

وصلت بيتها، أول ما فعلته أنها نظرت للمرآة بجوار الباب.. جميلة هي، مختلفة تمامًا عن تلك الفتاة التي ودعت هذا المنزل منذ ساعة، متورد وجهها كوردة لم تلبث أن رواها صاحبها بماء الحب، عيناها وكأنهما شبعا من النوم حتى هلكا.. ما أجمل عودته..!!

ابتسمت بطفولة لوجهها في المرآة، جرت على غرفتها وبدلت ثيابها

وأطفأت الأنوار وأشعلت نور "الأباجورة " فقط، جلست في فراشها وتنفست بعمق وأتت بالمجلة وفتحت على الصفحة الخامسة (أذكروني حين أغيب):

اعتذر في أول أسطره عن غيابه المفاجئ والطويل ووضح سبب تغييره للمجلة التي يكتب بها، ثم أضاف:

منهك أنا من كثرة التفكير في سؤال واحد، لمَ الحياة تأخذ منا كل عزيز فقط، بل كيف تأخذه بهذه البساطة.. من أعطاها الحق..؟! متى هنّا عليها ومتى قست علينا لهذه الدرجة؟!

كان مقالاً قصيرًا ولكنه دسمًا بوجع كبير، بغياب يستحق، برجلٍ منهك بالفعل

أدركت "حلم" أن غيابه كان غياب أحدهم عنه، وأن الغياب هذه المرة قاسٍ.. فتحت "حلم" حاسوبها وأتت بصفحة الرسائل بينهما.. ثم كتبت له:

ثمة أسئلة إجابتها دهر من الألم، وأخرى لا إجابات لها إلا في حضن أحدهم، ثمة أسئلة تخبرك باستفهامها أن عليك الهروب من جوف الغرق فيها، ثمة "كيف" لا تسألك عن حالك، وإنما تخبرك بأن قدرك ينتظرك على أعتاب كارثة جديدة، وثمة "من" لا تسألك عن أحدهم بقدر ما تسألك عنك بداخلهم، ثمة "أين" تسألك أين أضعت أحلامك وأين سقطت منك كل أمنياتك، أين خبأت نفسك بداخلهم،

وأين خبأتهم بداخلك خوفًا عليهم من الفراق؟

لذا لا تسأل يا صديقي .. لا تسأل..!!

أغلقت "حلم" حاسوبها وأغلقت معه عينيها وتسللت دمعة من عينيها لتفتح ألف جرح في قلبها.. لتخبرها بأن "هاشم" مازال حاضرًا بداخلها، لتخبرها بأنها تشتاقه.. بحجم الكون تشتاقه.. بحجم الحزن تحاول خداع نفسها بنسيانه.. ولكن ها هو ذلك الكاتب يفتح جرحًا حاولت طيه أكثر من مرة.. لمَ تأخذ منا الحياة كل عزيز فقط..؟!!

لو كانت تعرف الإجابة، لربما غفرت لهاشم غيابه، لربما أعطت لنفسها الحق في نسيانه.. ربما كانت أمور كثيرة تتضح.. ربما ما كان رحل "هاشم" منذ البداية..

غرقت "حلم" في تفكيرها حتى غرقت في نومها..

- ولكن كان على فراش آخر.. "هاشم" لا يستطيع النوم خاصة بعد رسالتها، كيف لا يسأل؟ أيبقى هكذا مقيدًا بقراره، معذّبًا بغيابها!! أهكذا سيبقى الوضع!! إلى متى؟ إلى يوم آخر.. أسبوع.. شهر.. سنة أخرى.. لا يهم، فكل الغياب بعيدًا عنكِ يا "حلم" دهر من الفراغ المخيف.

- هكذا قالها "هاشم"، وهو يطالع رسالة صديقته للمرة الألف منذ وصلته.

- كم مرَّ على حالته هكذا.. لا يدري.. ربما شهر أو أكثر كانت "حلم" في هذه الفترة تتابع جلساتها العلاجية مع طبيبها في المستشفى..

قرر "هاشم" بعد خيبة الغياب، أن يبعد عنها تمامًا.. أن يبعد حتى عن قراءتها..

*****

دخلت "حلم" المستشفى صباح إحدى جلساتها لتتابع مع طبيبها، فأخبرتها الممرضة أن الطبيب لم يأتِ بعد، وطلبت منها أن تستريح في استراحة المستشفى تنتظره حتى يأتي.. رحبت "حلم" بالفكرة لأنها كانت تشعر بأنها بحاجة إلى فنجان من القهوة الذي نسيت أن تتناوله في منزلها.

وصلت "حلم" إلى الاستراحة ودارت بعينيها لفتة سريعة لتبحث عن منضدة فارغة.. ولكنها فجأة ثبتت عينيها على وجه تتذكره جيدًا، إنه نفس الرجل الذي اصطدمت به.. إنه ياسين.. انتبهت "حلم" سريعًا إلى تركيزها تجاهه وسط الناس، كادت أن تنقل بصرها عنه، ولكنه رفع وجهه فاصطدم بعينيها.. "حلم".. رددها "هاشم" بداخله سرًا وحاول أن يخفي ارتباكه عن عينيها.. وقف بسرعة وقدم لها ابتسامة صغيرة.. حيته "حلم" بالابتسامة نفسها.. وأحنت رأسها قليلاً..

رفعت "حلم" وجهها مرة أخرى لتجده يقترب منها.. كان يرتدي قميصًا رماديًا وبنطلونًا أسود اللون، كان في كامل أناقته، كانت بشرته

التي تميل للغروب، وعيناه البنية، ولحيته القصيرة وشعره اللذان تشاركان في اللون الأسود معًا.. كل ذلك أضاف على أناقته أناقة خاصة بنكهة الرجولة.

- قاطعها صوت "هاشم" فجأة :

- صباح الخير.. تقابلنا من قبل؟!

انتبهت "حلم" إلى صوته وتذكرت المرة التي اصطدما فيها، ولكن تذكرت معها باقة الورد التي نسبتها له، تمنت لو استطاعت سؤاله إن كان هو نفس الشخص الذي أرسل إليها تلك الباقة أم لا..؟ انتبهت لغيابها عنه فلملمت شتات تفكيرها سريعًا وعادت إليه بذهنها..

- نعم.. أذكر أننا تقابلنا من قبل وفي هذا المكان نفسه.

- ياسين..

- حلم الصواف..

كم تمنى "هاشم" حينها أن يخبرها بأنه يعرف اسمها ويعرف الكثير عنها، بل يعرف كل شيء، كم تمنى لو يخبرها باسمه صدقًا كما فعلت هي.. كم كان صعبًا عليه الكذب عليها.. ولكن كانت الحقيقة أصعب..

- شعرت "حلم" بغيابه هذه المرة، فحاولت قول شيء لتعيده إليها..

- ماذا تفعل هنا؟!!

كان "هاشم" ينهي أوراق عمله في المستشفى وينوي التقاعد عن

ممارسة الطب نهائيًا ويتفرغ فقط لمقالاته.. ليبتعد عن الجميع، لينساه الجميع، كان يود إخبارها بكل ذلك، أن يشاركها قراره كما كان يفعل دومًا ولكن الآن.. هو عليه أن يستمر في كذبه.. فاستطرد قائلاً:

- لي صديق مريض هنا.. آتي لزيارته من حين لآخر، وأنت!!

- جلسات علاجية.. أصبت بحادث من فترة وأتابع مع الطبيب..

- شفاك الله..

- وكذلك صديقك..

صمتا قليلاً ثم لاحظ "هاشم" ارتباكها، أيدعوها لفنجان قهوة، ولكن هذا يعني دعوة أيضًا للحديث.. الحديث الذي يهرب منه، هو هنا بالفعل لينهي إجراءات هروبه منها للأبد..

ولكنها لم تعطه الفرصة طويلاً للهرب، فدعته برقتها:

- طبيبي لم يأتِ بعد، لو لم يزعجك الأمر، فهلا سمحت لي بدعوتك على فنجان قهوة..؟!

لم تعرف "حلم" من أين أتت بكل هذه الشجاعة لتدعو غريبًا على فنجان قهوة، على حديث لا تعرف حتى بدايته، لا تعرف لِمَ دعته، هل في عينيه شيء يدعوها إلى مزيد من الدقائق معه، هل أحسّت فيه بقليل من "هاشم"؛ هل تذكرت فيه أي شيء من "هاشم"؟!

- أفاقت من تساؤلاتها على رد "هاشم" الذي جاءها مندهشًا من تلك

الشجاعة التي لم يعرفها يومًا عن حلم..

- كيف تزعجيني، يا ليت كل الإزعاج يكون هكذا.. تفضلي..

جلس "هاشم" مع "حلم" وتناولا أطراف الحديث لعدة مواضيع عامة.. كان كل ما يدور بداخل "حلم" هو التفكير في تلك الكلمات التي يتبادلانها.

أما "هاشم" فكان بصعوبة يجمع كلمات الحديث الذي يتناولانه فقد كان كل تفكيره مشغولا بـ"حلم"، وأنها أمامه مرة أخرى.

كان يتحدث بصوت عالٍ وسريع، وكأنه يحاول أن يغطي على صوت قلبه وهو يصرخ باسمها وحبها.. كان يحاول أن يغطي على ملامح الألم التي تعتصر قلبه وروحه حتى.. عيناه كان يشعر بأنهما يحاولان احتضانها فكان كثيرا ما يغمض عينيه عنها، وكأنه يحاول أن يبعدها عنهما حتى لا يضمها فجأة..

وفجأة حاول "هاشم" أن يقترب من نفسه بداخلها أكثر، فسألها بهدوء:

- سمعت أنك أصدرت رواية..

- هل قرأتها..؟!!

- نعم.

فأدركت أنه نفس الشخص الذي بعث إليها بباقة الورد.. تمنت لو تعرف

هل كما فقدت الذاكرة فقدت أيضاَ قدرتها على الشعور بالأشخاص الذين تقابلهم ولو لمرة واحدة.. ودت لو تخبره بأنها تعرف أنه قرأها بل تدرك أيضًا أنه هو الذي أرسل إليها باقة الورد، ولكنها خجلت من تصوره بأنها مهتمة به..

عادت إليه سريعًا فسألته بعفويتها..

- ما رأيك بها إذًا؟

سقط "هاشم" في بقعة سؤالها؛ بماذا يجيب؛ أو بالأدق من يجيب "هاشم" أم "ياسين"، صدقه أم كذبه، قلبه أم عقله، حضوره أم هروبه؟!

"أحيانًا عليك أن تعترف بأن القرارات التي اتخذتها في لحظة رجولة، سيصفعها قلبك في لحظة حنين، في شوق كالتي كان فيها "هاشم" أمام عينيّ "حلم".

- رأيي بها!! .. قالها "هاشم" في خيبة شعرت بها "حلم" فسألته بقلق:

- ألم تعجبك؟!!

- لو لم تعجبني، لم أكن لأرسل لكِ باقة ورد من أجلها..

خطفت "حلم" منه اعترافه بفرحة وضمته لقلبها، لقد كان هو بالفعل، مازالت تمتلك الشعور بالأشخاص أصحاب اللقاء الواحد.. تنفست بارتياح ثم عاد قلقها حين تذكرت سؤالها برأيه في الرواية، فقالت

obeikan.com

بحذر!!

- إذن لِمَ كلُّ تلك الخيبة في صوتك؟!

- لم أقصد.. إنها سيئة، فقط كانت واقعية جدا بالنسبة لي، قريبة مني شعرت بها، شعرت بأن بها أشياء تشبهني، وأنّ أبطالها يحملون بداخلهم أشياء من داخلي، وأني مازلت عالقًا بداخلها.

- لا أعرف إن كان عليّ الفرح لأن روايتي كان لها ذلك التأثير فيك، أم أحمل ذنب خيبتك وسجنك بداخلها!

- عليك فك سجني وتحريري إذًا.

ارتبكت "حلم" من رده، ولكن هاشم كانت صدمته من رده أكثر من ارتباكها.. عرف لحظتها أن الحب في هذه اللحظة يحاول الهرب إليها، وأن كذبته تحتضر أمامها..

ابتسم "هاشم" مجددًا محاولاً تغيير الحوار.. سألها بلطف:

- ماذا تعملين؟

- أخبروني أني طبيبة ولكني لم أمارس المهنة مجددًا بعد الحادث.

أبدى "هاشم" ملامح تعجب من إجابتها، فقصت له ظروف الحادث وما الذي أسفر عنه.. انتهز "هاشم" فرصة حديثها عن تفاصيل يحفظها عن ظهر قلب، وهرب منها إلى ملامحها، راح يختلس النظر إلى عينيها، إلى تلك اللؤلؤتين اللتين أحب "حلم" لأول مرة من أجلهما،

obeikan.com

راح يدقق النظر في خصلات شعرها الكريستالي، التي تمنت كثيرًا أن تغير لونه إلى اللون البني وكان دومًا يرفض ذلك الأمر، شعرها الكريستالي يذكره دومًا بالشمس، كان يغازلها دومًا:

- أشعر دومًا بأن الشمس تسير معي وأنتِ تسيرين بجانبي، شعرك له نفس وهج الشمس، نفس حرارتها، نفس إلزامية وجودها في حياتي..

تنبه لصوتها حين رفعته قليلاً، اختلس نظرة إلى شفتيها بأحمر الشفاة الذي يزينها، كل التفاصيل في وجه "حلم" تجبرك على أن تحبها، ثم حين تحبها، كل التفاصيل التي بداخلها تجبرك أن تعشقها.. بأي يد ستسقط حين يتركها هاشم للأبد، من سيحبها أكثر منه.

وكيف سيحبها أكثر منه، أحبها "هاشم" بحجم سبع سماوات وغمرها بحبه.. بحجم البحار، من أين سيأتي غيره بحب أكثر من هذا؟!!

- ما الذي يحدث؛ ألم يأتِ "هاشم" هنا لينهي إجراءات هروبه بعيدًا عنها، ها هو باب آخر للوصول إليها يُفتح، ثمة فخ أوقعه القدر فيه، من أين جاءت صدفة لقائهما اليوم؛ ولماذا اليوم؟!

- وأنت؟!

قطع سؤالها حبال طويلة قد مدها بين تساؤلاته ولم يجد طرف نهاية لأي منهم، لا إجابة تهدأ من النيران التي تحرقه، ابتسم لها سريعًا، ولكنه سأل نفسه سرًا، بماذا يجيبها، بأي مهنة، بأي وجه سيعاملها؟ الطبيب أم الكاتب، ولكنه وجد نفسه يخلع ثوب الطب من عليه ويجيبها:

- كاتب.. أكتب مقالات في إحدى المجلات.

- ممتاز.. تحمست "حلم" لمهنته كثيرًا.. ثم استكملت بسؤال آخر:

- بأي مجلة تكتب؟

بإحدى المجلات الأسبوعية، لي عدد ثابت تحت عنوان(اذكروني حين أغيب)..

وكأن ثلج الشتاء قد سقط فجأة وأثلج كل شيء حولها، وكأن كل شيء توقف، ياسين هو نفسه(مجرد كاتب) الذي تقرأ له وتراسله منذ الحادث، أي مصادفة هذه، وأي فخ ذلك.. كادت تقدم له نفسها وأنها الفتاة التي تراسله دون اسم.. دون هوية، ولكن.. ثمة علاقات تنتهي بمجرد البوح عن سرها، بمجرد أن تعري كل شيء فيها، ثمة علاقات خلقت سرًا وتكتمل سرًا وتموت سرًا..

و"حلم"، كانت أكثر ما تحبه في علاقتها مع ذلك الكاتب هو سرها حتى عنه، تلك الغرفة المغلقة التي تكتب فيها ما تود الصراخ به، تكتب فيها ما تود قوله لـ"هاشم"..

كان ذلك الكاتب نافذتها الوحيدة التي ترى من خلالها ظل "هاشم" وتحاكيه دون أن يراها الفقد.. أن ترسم ألف وجه للغائب دون ملامح. الفقد".. أن ترسل ألف رسالة لغيره، وتنتظر الرد منه."

و"حلم"، كانت ترسل كل رسائلها لـ"ياسين"، وتنتظر أن يقرأها

"هاشم"؛ كيف!! لا تدري وإنما قلبها كان يجبرها للقيام بذلك..

نحن أغبياء في الحب، وأكثر غباءً في الفراق..

عادت "حلم" بكل هدوء مصطنع لترد عليه بابتسامة:

- اسمه جذاب، يجب عليّ أن أقرأه يومًا ما.

- سيكون لي الشرف بالتأكيد.

مرّ الوقت بينهما سريعًا، حتى جاءت الممرضة تخبرها بأن الطبيب قد أتى، كم مرّ من الوقت؟ لم يعرفا ولكن كليهما ظهر على وجهه علامة الخيبة لانتهاء اللقاء.. عدلت "حلم" من شعرها وملابسها وقامت لتحييه بابتسامتها، وقف "هاشم" ليحييها حتى فاجأته حينما قالت:

- سنلتقي مرة أخرى!

أنلتقي مرة أخرى، رددها "هاشم" سرًا، لقد جاء هنا حتى لا يلتقيا مرة أخرى فكيف يكون مجيئه هو السبب ليكون هناك مرة أخرى، أيخبرها بأنه سيسافر مرة أخرى.. مرة أخرى تنسحب يا "هاشم" من حياة "حلم" بحجة السفر وكلاهما كذب، مرة أخرى تخذلها حين تطلب مزيدًا منك.. من الوقت معك، متى يسمح لنا القدر بمرة أخرى يا "حلم"، متى يغفل عنا قليلاً لنسرق منه مرة أخرى؛ لقاء مرة أخرى، صوتك مرة أخرى، ضمك ولو مرة أخيرة..

تعب "هاشم".. تعب من كل الأسئلة التي لا إجابات لها، تعب من

انسحابه كل مرة، فما كان عليه إلا أن يجيبها..

- بالتأكيد.. بالتأكيد سنتقابل مرة أخرى..

- ممتاز.. أودعك الآن، وأوصل سلامي لصديقك.

رحلت "حلم" وأخذت معها كل شيء، وتركت له الخوف، الخوف من تلك المرة الأخرى، من القادم، من القرار الذي أخذه أمام عينيها لحظة شوق..

أسديك نصيحة يا عزيزي.. لا تأخذ قرارًا أمام عينيَ من أحببت، ولا تقطع وعدًا في حضوره لأن كليهما سينهدم حين تفيق وحدك بعيدًا عنه ذات يوم..

و"هاشم" أخذ القرار الذي سيقتل به "حلم" ذات يوم.

obeikan.com

عودة الحياة

دخل "هاشم" المطعم ليجد "حلم" في انتظاره.. مر حتى الآن شهر كامل اعتادا فيه أن يتقابلا في المطعم المجاور للمستشفى الذي تذهب إليه لتتم جلساتها العلاجية، فهي تأتي قبل موعد طبيبها بنصف ساعة.. ويجلسان يتناولان الحديث وبينهما كوبيَ الشاي يتحدثان بالجد مرة وبالمزاح مرة أخرى وتتعالى ضحكاتهما حتى يستتران من الناس بسبب صوتهما العالي.. تحولت حياة "حلم" لنغمات هادئة بين "ياسين" وبين "آدم"، الذي بدأ يلاحظ اهتمامها بموعد طبيبها ونزولها المبكر قبل الموعد بوقت ليس بالقصير، كما أنها ترفض أن يوصلها بنفسه كما كان يفعل سابقا.. وكلما سألها تحججت بحجج مختلفة منها أنها تريد أن تشعر بأنها تحسنت وصارت حرة تتحرك وحدها.

لم تعرف "حلم" لمَ أخفت عن "آدم" مقابلاتها مع "ياسين"، وأنها تذهب قبل موعد طبيبها خصيصًا لمقابلته، ولتحظى ببعض الدقائق معه قبل كل جلسة .. رغم أنها لم تخفِ يومًا شيئًا عن "آدم".

نفضت "حلم" كل شيء من رأسها حين رأته يدخل عليها أنيقًا كعادته

وهو يرتدي بنطلونه البني وقميصه الذي يميل للون "الكاكا" وشعره الأسود ورائحة عطره التي أصبحت تعرفها حتى لو لم تره.. تعلقت برائحة عطره منذ أول مرة سلم فيها عليها وسكنت رائحة العطر بين أصابعها.. أدمنت "حلم" طلته عليها بكامل أناقته وبنظرات عينيه البنيتين اللتين تحتضنهما من بعيد عندما يدخل من الباب لذلك كانت تصر دائما على أن تأتي أولا حتى تحظى برؤيته وهو يطل عليها كالشمس حين تشرق بكامل قوتها وحرارتها... كان لـ"ياسين" حرارة يسريها في جسد "حلم" كلما اقترب منها، وكانت تستنكر لماذا هو خاصة من يحدث لها ذلك في قربه..

ولكن هذه المرة جاءها وهو عاقد الحاجبين لم يرسم الابتسامة مثل كل مرة.. فرسم لوحة من الحزن على وجهها حين رأته هكذا، تقدم إلى كرسيها وحياها وجلس بجوارها.. سألته ما الذي أصابه؟

- لا تقلقي بعض من التعب والإرهاق قليلاً من العمل.

- كل ذلك من الإرهاق.. وعلامات الغضب التي علي وجهك من التعب.. أتخفي عني شيئًا يا "ياسين"؟!

- لا تكبري الموضوع.. صدقيني قليل من الإرهاق ليس إلا وأخذت بعض الأدوية لا تقلقي..

- أتمنى أن يكون الأمر إرهاقًا وفقط.

ابتسم لها ابتسامه يجتاحها طوفان من الألم هي تتفهمه جيدًا ودائما

openkan.com

تخبره بأنها تشعر وكأنها تعرفه منذ زمن، وأنها تفهمه جيدا وتستنكر هـذا، فهي لا تعتاد الناس سريعا وتحتاج لكثير من المواقف حتى تفهمهم وتتعرف عليهم .. كان يفسر لها ذلك بأنه ربما لأنه اقترب منها في وقت قصير وفتح لها قلبه لذلك تفهمته سريعا.. كان دائمًا يحاول إقناعها باستحالة معرفتهما ببعض سابقًا قبل حادثتها،

بدأ كلاهما في الحديث عما حدث له في الأيام السابقة التي لم يتقابلا فيها.. كانا يحكيان عن كل ما يحدث لهما، ولكن في هذه المقابلة شعرت "حلم" بتغير كبير في "ياسين"، هو يتحدث بالفعل ويبتسم لها، ولكن عينيه فيهما شيء كبير يؤلمه ولا تستطيع أن تحدده!!

في هذا اليوم فاجأها "هاشم" بأنه يجيد العزف على الجيتار أحبت هذه الفكرة جدًا، وطلبت منه التعلم عليه.. شعر "هاشم" بأن هذه فرصة أفضل ليقترب منها أكثر، كما أن الموسيقى تهدئ من نفس صاحبها دون أن يقصد، وتجعله يستسلم للحب والخير والجمال والسلام النفسي والآخرين تلقائيًا، وهذا ما يريد أن يعيده لـ"حلم" بعد أن كان السبب في ضياعه منها.

اتفقا على أن يتقابلا في النادي كل يوم ثلاثاء ساعتين يعلمها العزف، وهي تقرأ له بعض مؤلفاتها القديمة، التي وجدتها في حاسوبها الخاص.

عادت هذا اليوم تشعر وكأنها فراشة تطير في السماء، وما إن فتحت الباب حتى وجدت والدتها و"آدم" ينتظرانها في الريسيبشن!

- أخيرًا أتيتِ.. أين كنتِ كل ذلك الوقت جلسة الطبيب منتهية منذ ساعتين، قالها "آدم" بغضب؟!

- الجو اليوم جميل والسماء صافية والشمس دفئها يغريك على السير أسفلها ساعات طوال، وليس ساعة واحدة.

استنكر "آدم" هذا السبب لا يعرف لماذا لم يقتنع بأنه السبب الحقيقي وراء تأخيرها في العودة، استأذنت والدتها لتكمل تجهيز الغداء.. ثم وقفت "حلم" أمام "آدم".

- أين كنتِ يا "حلم"؟!

- أخبرتكما أين كنت.

- وأنا لم أصدقك ولا أعرف لماذا؟!

- إذًا هذه هي مشكلتك وحدك وليست مشكلتي.. ثم استعدت للانصراف لتبدل ثيابها،

ثم استدارت له مرة أخرى:

- آه نسيت أن أخبرك أنا سأتعلم عزف الجيتار!

- من سيعلمك؟

- "ياسين"..

- من "ياسين"؟

obeikan.com

- أتذكر ذلك الشاب الذي اصطدمت به في المستشفى ومن بعدها أرسل لي باقة الورد.

- وأين رأيتِ "ياسين" وكيف اتفقتِ معه علي تعلم العزف.

أدركت حينها أنها أخطأت حينما أخبرته.. فهو سيعرف الآن أنها كانت تقابله دون علمه، وأنها أخفت عليه أنهما أصبحا صديقين حميمين.. حاولت اختلاق أي حجة، ولكنها فشلت، فقررت أن تصارحه:

- أنا أراه في المطعم المجاور للمستشفى قبل جلستي مع الطبيب، فهو يأتي في نفس الميعاد تقريبا لزيارة صديق له في المستشفى، وتحدثنا عدة مرات، وعرفت منه أنه يجيد عزف الجيتار لذا طلبت منه أن يعلمني..

آه ونسيت أن أخبرك أمرا آخر.. انتظر روايتي الجديدة.

- مبروك كيف ستصورين "هاشم" هذه المرة شيطانا أم هولاكو؟!

- لا سأصوره رجلا ومضى مرحلة وانتهت.. ذكرى فقدتها مع فقداني للذاكرة.

انصدم "آدم" حين سمع كلماتها.. أيمكن أن يكون "هاشم" رحل هكذا.. ويا ترى "ياسين" هو السبب في ذلك وإن كان هو.. فهذا يعني أنه لم يتغير شيء وسنعود قريبا لنقطة الصفر ويخذلها "ياسين" ويرحل، وبدلا من أن تمر بصفعة واحدة في حياتها ستمر بها مرتين..

يتعجب من نفسه كيف سمح لـ"هاشم" أن يعود لها في ثوب رجل آخر؟... كيف لم يفكر في أن النهاية واحدة لذلك الرجلين لأنهما في النهاية واحد؟ .. قرر "آدم" أن ينهي هذه الكارثة قبل أن تكتمل.

اتصل "آدم" بـ "هاشم" وطلب منه مقابلته.. تنهد "آدم" بارتياح بعد اتصاله بـ"هاشم" غدا سيختفي "ياسين" مثلما اختفى "هاشم" فجأة دون مقدمات أو أسباب.. دون حتى وداع.

obeikan.com

لحن الحب

-- لن أسمح بأكثر من ذلك يا "هاشم"، ولا أعرف كيف أقنعتني في البداية أن تتبدل الثوب وترتدي "ياسين"، الآن نحن لم نفعل شيئًا عدنا إلى الوراء إلى نقطة الصفر، الآن أنت تغرقها في حب "ياسين" أيضًا، ألم يكفيكَ حبها لـ"هاشم"؟!

"هاشم" أنت بذلك تقتل "حلم" بالفعل ولكن ببطء.

- أنا أريد أن أحيي فيها ما مات على يد "هاشم".

- وبعد أن يرحل "ياسين" ألن يميت فيها ذلك أيضًا كل ما أحياه بيده.. ثم قطع حديثه فجأة وشعر بأنه تجاوز حدوده ولغضبه وخوفه على "حلم" نسي مشاعر "هاشم"، وهو من يستحق أن يشفق عليه ولا يلام بهذه الطريقة فتابع حديثه بنبرة يمتزج فيها الألم بالخوف:

- "هاشم" ابتعادك من البداية كان خطأ ولكنه كان قرارك.. أعرف كم هو مؤلم عندك ذلك الفراق، أعلم أنك أحببت "حلم" خمس سنوات بالعمر كله.. ولكن "ياسين" بعد فترة يمكن أن يرحل ألم تفكر في "حلم" وقتها؟!

obeikan.com

- لمَ لم تفكر أنت أيضا في حبي لها.. عندما علمت أنها فقدت الذاكرة استغليت الفرصة أن أبقى بجانبها دون أن أكون "هاشم".. "آدم" أرجوك أجعلني بجانبها فترتي الباقية.. بعدي عنها يمزقني من الألم، أنا لست أنانيًا ولكني حقًا أموت يا "آدم" أنت الوحيد الذي تعرف كم كنت أحبها كم كنت أعشقها.. ما ذنبي إذن إن القدر لم يبارك لنا الحب سوى خمس سنوات فقط .. "حلم" نسيت "هاشم" بعد عشق خمس سنوات لمجرد ظهور "ياسين" لمَ إذًا لا تنسى "ياسين" رفيق بضعة أشهر؟

- "هاشم" كيف تتصور أن "حلم" نسيتك.. هي لم تنفك عن التفكير فيك، ولم يتركها الوجع والاشتياق لك كل ليلة بعد ما يودعها الجميع ، أنا لا أصدق أنك تتصور أنها نسيتك.. أخبرك أمرًا أنا متأكد أنها ترتاح لـ "ياسين" لأنها تشعر أنه يشبه "هاشم" لحد كبير، وكل ما أخشاه أنه بزيادة اقترابك تتذكر "هاشم" بالفعل وحينها ستكون الكارثة الكبرى.

- حسنا اجعلني حتى هذه الفترة أخلصها من الألم والوجع اللذين تعاني منهما، وبعدها تتولى أمرها أنت، واطمئن أنا دائما أبعدها عن الماضي، فهي لن تتذكر "هاشم" أبدًا وهي متعلقة بـ "ياسين"..

وفجأة ترقرقت دمعة من عين "هاشم" تألم فيها "آدم" كثيرًا فهو وحده من يعلم ما الذي يعانيه "هاشم" وما حجم ألمه! ومشفق عليه من وصف "حلم" له في روايتها، ثم تذكر فجأة شأن الرواية

- آه نسيت أخبرك.. "حلم" أخبرتك بشأن روايتها الجديدة التي ستكتبها؟

- نعم ووعدتني أن تكون أقل رحمة ببطلها.

- أتمنى ذلك، "هاشم" أنت تعرف كم أحبك ولكن "حلم" عندي هي الحياة بأكملها.

- وأنا كنت سأصبح زوجها كانت هي حبي وروحي وحياتي.. هي كانت حلما يا "آدم".

اخفض "آدم" رأسه في الأرض فهو يعرف ما الذي كانت تعنيه "حلم" في حياة "هاشم"، فهو إن عاش ألف عام لن يقابل رجلاً يحب امرأة كما أحب "هاشم" "حلم".. لن يجد رجلاً وامرأة ينصهران ببعضهما كما انصهر كلاهما.. فهو لا يحق له أن يقسو علي "هاشم" يكفيه ما حل به وما قرره من أجل "حلم".. يكفيه أن يرى "حلم" تصفه بأبشع الصفات ويصمت.. يكفيه أن يراها ولا يضمها لصدره.. يكفيه أن يراها تتعلق برجل آخر سواه رغم أنه في الحالتين هو.. لكن ما الحل؟!!

هل من اعتراض على أوامر القدر؟!!

كيف لنا أن نتكلم... هنا فقط يأتينا مثل (السكوت علامة الرضا) إن وافقت أو أبيت فعليك بالصمت والرضا بما شاء به القدر.

ودَع "آدم" "هاشم" وطلب منه أن يحافظ على "حلم" من "ياسين".

*****

استيقظت "حلم" على صوت المنبه ليوم الثلاثاء في التاسعة صباحا.. اليوم أول دروس تعليم عزفها علي الجيتار، هي سعيدة جدًا بهذه الخطوة.. شعرت بأن الجو اليوم دافئ وأن الشمس اقتحمت غرفتها بكل أشعتها لتملأ سريرها وتتخلل شعرها.

نهضت من فراشها وأخذت حمامها، ثم ارتدت بنطلونا أحمر وقميصًا من الحرير ذي اللون الأسود، وارتدت عليه سلسلة من الذهب تحمل اسمها وجدتها في خزانتها ولكن لم تتذكر من أهداها إياها أو متى اشترتها.. صففت شعرها وجاءت به مائلاً على كتفها وأرضت روحها بعطرها المفضل، وأهدت شفتيها أحمر الشفاة الذي اعتادت أن تحتويه شفتاها في الصباح.. نظرت لمرآتها واقتحمت ذاكرتها صورة "ياسين" وهو ببذلته السوداء التي رأته بها حين قابلته في المطعم أول مرة.. أناقته تبهرها،تسحرها تجعلها دائمًا تريد أن تكون في قمة أنوثتها لتليق برجولته الصارخة، وصدره العريض، وعضلات وجهه البارزة.. كل شيء فيه يجتاحها وكأنه طوفان من الاحتواء يغمرها ويستعمرها.

نفضت من رأسها التفكير به، فهي لا تريد أن يكون لها سوى صديق ولكن ليس لأنها لا تريد أن تكرر صفعة "هاشم" مرة أخرى، ولكن شيئًا عاريًا من الكرامة بداخلها كان يشعر بأنها بذلك تخون حبها لـ"هاشم".

وعقلها يرفض أن يستسلم له.. تخون من؟! أليس هذا الذي خذلها ورحل دون مقدمات أو دون وداع!!.. أليس هذا الذي أنتهز فرصة

سقوطها ليهرب؟!

من مثل "هاشم" يستحق أن يخان كل دقيقة وكل ثانية.. من مثل "هاشم" يستحق أن يضاجع القلب ألف رجل غيره ليعوض جرحه وليسحقه ويسحق كرامته ورجولته، كما سحق كرامتها وحبها بداخله حين خذلها ورحل.

من مثل "هاشم" يستحق أن تكون امرأته خائنة زائفة ليتندم كل لحظة على اللحظة التي لم يفِ فيها لـ"حلم" ولحبها ولم يصدق معها حتى النهاية.

تعبت "حلم" من ذلك الصراع الذي لا ينتهي بين قلبها وعقلها كل صباح ومساء فأمسكت بحقيبتها، وأبعدت وجهها عن المرآة ونفضت كل ما برأسها وخرجت، أخذت التاكسي ووصلت للنادي، ولكن هذه المرة "هاشم" هو من كان ينتظرها.. وهذه المرة هي من أطلت عليه كالشمس المشرقة، لم يتوقع أن يعود مرة أخرى ليرى "حلم" بهذه الأنوثة الصارخة التي اعتادت ألا تظهرها سوى لـ"هاشم"، كان اللون الأسود عليها يزيد من جمالها طوفانا من الجمال، ويجعل جسدها كنهر ينسدل بين ضفتيه في رشاقة وخفة.. وكانت أشعة الشمس تخالط خصلات شعرها الكريستالي لتعطيه روح الحياة وتجعله كسلاسل الذهب الصارخ.. رآها تقترب وأمسك نفسه بقوه حتى لا يحتضنها حينما تقترب منه أو يقبل قطعتين الكرز اللتين تسكنان في وجهها.

- بالتأكيد تأخرت ولكن أعتذر التاكسي يمر في شوارع مزدحمة جدًا يا ليتني طلبت من "آدم" أن يوصلني، إنه يختلق شوارع لم تمر فيها سيارات إلا قليلا.

- "آدم" محظوظ لأنه يحظى بتلك اللحظات التي يجالسك فيها في الطريق ويكفيه شرفًا أن تركب سيارته ملكة مثلك

توردت وجنتاها.. فهي لم تعتد المغازلة إلا من "هاشم" أو مداعبة رقيقة من "آدم".. حاولت إدراك نفسها قبل أن تهوى في دوامة عينيه وبعدت عنه حتى لا تنصهر في حرارة جسده، وأحكمت نفسها حتى لا ترتمى بين أحضانه ويحتويها صدره العريض.

- أشكرك.. هل سنبدأ الآن في درسنا الأول؟!

- أنت متحمسة جدًا.

- جداااا.

بدأت الدرس الأول ووجدت صعوبة في البداية في التعلم وأدهشها روعة أداء "هاشم" في العزف على الآلة وتمنت لو تصبح مثله، وعدها أنه لن يتركها حتى تكون عازفة ممتازة ولكن عليها ألا تنشغل عن الرواية التي تكتب فيها الآن.

انتهى الدرس وأوصلها "هاشم" بنفسه لبيتها وحيته ودخلت، وما إن وصلت لغرفتها حتى بدأت تدندن بشفتيها اللحن الذي كانت تتمرن

عليه، ولكنها فجأة تذكرت "هاشم" وكيف كانت تدندن له بعض الألحان.. حتى الآن كل شيء يعيدها بالذاكرة المفقودة لـ"هاشم" فقط ولا تستطيع تذكر أي شيء عن الماضي سواه.

ألم يكتفِ القدر بإيلامها حين أخذ منها "هاشم" وخذلها فيه؟! مازال يؤلمها أيضًا بذكريات "هاشم" التي لا تفارقها لحظة، وحبه الذي ينمو في قلبها وكأنه جنين بداخل رحمها.. تستنكر أنها كلما تعلقت بـ"ياسين" أحبت "هاشم" أكثر وأكثر وعاد قلبها للدق له مرة أخرى..

بدلت ثيابها وطلبت من خادمتها أن تحضر لها فنجان القهوة إلى غرفة المكتب واستكملت كتابة الرواية..

*****

استيقظت "حلم" يوم الثلاثاء في التاسعة صباحا ولكن ليس على المنبه، ولكن على رنين الهاتف فإذا به "ياسين" يخبرها أنه متعب قليلا ولن يستطيع الحضور اليوم.. حاولت أن تستفسر منه عما به ولكنه قال إنه متعب قليلا ويشعر بصداع يعتقد أنه لن يجعله يستطيع العزف والتركيز اليوم.. أنهى المكالمة وأغلقت "حلم" هاتفها وضرب قلبها سهما من القلق والألم لم تعرف سببهما.. فكل الحكاية بعض الصداع؛ لمَ هذا القلق وكل الألم الذي أصابها؟!!

بدلت ثيابها ونزلت لحديقة المنزل وجمعت باقة من الورود والأزهار ونسقتها واتصلت بـ"ياسين" وحاولت معه ألف مرة أن يعطيها عنوانه

لترسل له باقة الورد التي صنعتها خصيصا لأجله، ولكنه رفض رفضًا تامًا أن يعطيها إياه.. غضبت منه كثيرًا وأغلقت الهاتف في وجهه.. فإذا بـ"آدم" يدخل الحديقة ويرى حالتها تلك، فحكت له ما حدث ورفض "ياسين" إعطاءها عنوان بيته، رغم أن باقة الورود صنعتها بنفسها له.

-- حسنا يا أميرتي أعطيها له حين تتقابلان الدرس المقبل.

-- لن أعطيه شيئًا ومن اليوم هو معلم العزف الخاص بي وفقط وليس شيئًا آخر، ثم تركت باقة الورد من يدها ليحتضنها التراب، وصعدت لغرفتها وارتمت في أحضان فراشها، وأخذت تبكي باحتراق.. لا تعرف ما الذي يبكيها فالموقف لا يستدعي كل ذلك، والألم الذي تشعر به بداخلها أكبر بكثير مما يستحقه الموقف.. لم تصل لتفسير حقيقي لما تشعر به.. كل ما تعرفه أنها تتألم جدا في هذا الوقت.

هل أحبت "ياسين" حقا لذا آلمها أنه لا يشعر بحبها وقلقها عليه واهتمامها به؟! لا تعرف ولكن الألم الذي تشعر به إن كانت حقا أحبت "ياسين" إذًا فهو وجع على "هاشم" وشعور بالذنب تجاه حبه وليس قلقا على "ياسين"..

متى تكف عن الشعور بالذنب تجاه ذلك الخائن؟!!

لحن الاحتراق

تقابلا الثلاثاء ولكنه فاجأها بباقة من التوليب وبها كارت مكتوب فيه:

(قالوا إن التوليب

تلتف حول نفسها وتبقى منغلقة كالمرأة التي تحيط

نفسها بهالة من الغموض خوفًا من انفضاح مشاعرها

لذا فهي تذكرني بكِ وتشبهك).

شعرت "حلم" بارتباكٍ شديد وببرودة أطرافها حينما قرأت تلك الكلمات.. وفجأة اقترب منها "هاشم" وهمس في أذنها (لا تقسي عليّ يا ملاكي) ذابت في لحظة ولكنها لم تعرف أهي ذابت من كلماته، أم من حرارة جسده حين اقترب وصدره العريض الذي اقترب منها وكاد أن يضمها.. شعرت بأن الكون كله اختُصرت مساحته في تلك السنتيمترات التي تقف فيها مع "ياسين"، وهو يكاد أن يلامسها بجسده.. كم تود لو يضمها بذراعيه وتضع رأسها علي صدره، ولكنها كسرت سبيل الصمت حين فاجأته، وهي تغمض عينيها وتذوب في حرارته:

obeikan.com

- أحبك جدًا يا "هاشم".

ابتعد "هاشم" في لحظة حين سمع جملتها وفتح عينيه ودق قلبه بقوة حتى كاد يخرج من مكانه

- من "هاشم"؟!

انتفضت "حلم" فجأة من ذوبانها وفتحت عينيها لتتفاجأ أنها أمام "ياسين" وأنها كانت تحلم بـ"هاشم" أمامها.

- يا إلهي.. أعتذر يا "ياسين" اعتذر لك ألف مرة.

ثم أخذت حقيبتها وباقة الورد واختفت من أمامه في لحظة.. عرف "هاشم" حينها أنها لم تتذكره، ولكنها ذابت في ذاكرتها لـ"هاشم"، أحس "هاشم" بشيء من الارتياح لأنه أخذ اعترافا صريحا من قلبها أنها مازالت تحب "هاشم"، ولكنه تألم في الوقت ذاته لأنه بذلك لم يحقق مراده من بعده عنها؛ أن تنساه وتكرهه وأن وجود "ياسين" لم يغير شيئًا، ولم يستطع يحرك قلبها إليه بعيدًا عن "هاشم".

خرجت "حلم" من النادي وهي منهارة ودموعها تكاد تحجب الرؤية عنها وأخذت سيارة أجرة ووصلت لبيتها وما إن وصلت لغرفتها حتى أغلقتها وأغلقت النوافذ وأطفأت الأنوار، وارتمت في أحضان فراشها وضمت نفسها بين ذراعيها، وأخذت تصرخ بصوت متقطع تشعر معه أنها تلفظ أنفاسها الأخيرة:

-- يا "هاشم" أين أنت؟ بالله عليك استحلفك أن تعود.. لا أستطيع يا "هاشم" أحاول ألف مرة ومرة ولا أستطيع، حتى الرجل الذي بهرني وعلقني به، كلما اقتربت منه تذكرتك أنت.. أنا أخونه معك بفكري، وأنت من تستحق أن تخان ألف مرة.

آه يا "هاشم" لو تعلم أني سأموت قريبًا.. سيتوقف قلبي من الألم.. لا تقنعني بأني سأكمل حياتي بهذا الألم والعذاب.

استحلفك بالله .. أخبرني سببًا واحدًا ولو بسيطًا تتركني لأجله.. أخبرني أنك أحببت أخرى.. أو وجدت فيّ عيبًا.. أي شيء.. تعالِ ودَعني دون أسباب وارحل.. أفعل أي شيء قبل الرحيل، ولكن ليس هكذا تخذلني وتغيب..

سمعت والدتها صوتها وهي تصرخ باسمه، فهي كانت تقف خلف باب غرفتها فاتصلت بـ"آدم"، وطلبت منه أن يأتي بسرعة.

طرق "آدم" الباب عليها وطلب أن تفتح له ولكن دون جدوى، صرخاتها لا تنقطع وهي تنادي على "هاشم" بأعلى صوتها وتضرب بيدها الفراش.

- "آدم" بالله عليك أخبرني أين "هاشم"، لأي بلد سافر.. سأذهب له ولو في كوكب آخر ولكن لابد أن أقابله، هذا ظلم أن يتركني هكذا دون حتى أن أراه..

أنا أتألم يا "هاشم".. صغيرتك تتألم.. يا إلهي ألهذه الدرجة انخدعت

فيك وفي قلبك وفي حبك؟!! ألهذه الدرجة أنت قاسٍ وقلبك كالحجر الأصم؟!!

كان "آدم" بالخارج يحاول أن يمسك لسانه غصبًا حتى لا يفصح عن كل شيء، اكتفى بالدعاء لها، ثم خرج في الحديقة واتصل بـ"هاشم" وفهم منه كل ما حدث.

حينها علم "هاشم" أن في جميع الأحوال حبهما سيبقى مهما حاول قتله وتدميره.

*****

مر شهران على تلك الحادثة التي أفصحت فيها "حلم" عن حبها الخالد لـ"هاشم".. تعلمت في الشهرين العزف على آلة الجيتار، وكانت كل مرة تجيد لحنًا مختلفًا.. كانت تتعلم بسرعة لم يتوقعها "هاشم"، وفي آخر لقاء بينهما أخبرها بأن عيد ميلاده الأسبوع المقبل، ويريد أن يحتفل به معها وحدهما في أي مكان، واستقرا على يوم الجمعة يسافران فيه إلى (مرسى علم) يعزمها على الغداء ويتمشيان على شاطئ البحر، ويحضران حفلا للغناء في المساء ويعودان في أخر اليوم..

عجبتها الفكرة كثيرًا وأعجبها أن تكون معه يومًا كاملاً.

خرجا بسيارته، شغل المحرك ومعه أغنية لفيروز كان دوما يغنيها لـ"حلم" ويعرف كم تحبها.. نظرت له حين شغل الأغنية وقالت له:

- أتعرف أنت تشبه شخصًا أعرفه في أشياء كثيرة، في ذوقه في الأغاني والورود وحتى الكلمات التي يخصصها لي.. ولو كانت الذاكرة تساعدني وتأتيني بوجهه لوجدت أنكما تشبهان بعضكما في الشكل أيضًا.. ثم ضحكت ضحكة مكسورة.

عرف حينها أنها تذكرت "هاشم" بكل تفاصيله معها وتتمنى لو أنه حاضر بجانبها الآن.. كم يتمنى لو يخبرها بأن "هاشم" لم يتخل عنها لحظة ولم يخذلها ولم يتفق مع القدر عليها، بل هو عاد في زي جديد فقط ليجعلها تكمل جولة (الريست) الأخيرة مع القدر، ولابد أن تفوز بها وأن تقوى على فراق "هاشم"..

لم يكن أحد يستطيع أن يُنسيها "هاشم" وحبه سوى "هاشم" نفسه.. هو ليس أنانيا كما يدّعي عليه "آدم"، ولا يهدم كل ما فعله في قرار البعد وأنه هكذا يعطي صفعتين لـ "حلم"، بدلا من واحدة فقط من "هاشم".. لكنه الآن ينسيها "هاشم" الذي لن يستطيع أحد أن ينسيها إياه سواه، ولكن "ياسين" هي متعلقة به فقط لروعة شخصيته وأناقته، وأنه يحل ذلك الفراغ الذي تركه "هاشم" ويواسيها في ليالي انتهاك الوجع لقلبها.. وحين يرحل "ياسين" سيكون سهلا عليها أن تتأقلم على غيابه، وأن يحل محله أي شخص آخر، وخاصة "آدم".. هو يعرف جيدًا أن المستقبل المقبل لـ"حلم" بين يدي" دم"، لأنه يستطيع أن يعوضها عن "ياسين"، وينسيها إياه ولكن "هاشم" لم يكن "آدم" يستطيع تحريك ذرة واحدة من حبه من قلبها.

"هاشم" يعلم جيدًا أنها وإن نسته فهي ستنساه فقط أو بمعنى أدق ستتناساه، ولكن لن يموت حبه بداخلها، ولن يموت "هاشم" يوما من حياة "حلم".. "هاشم" الحب المستحيل انتهائه، إنه حب أبدي في قلب "حلم"، وهو على يقين بذلك.

هو كل ما يفعله تخفيف الألم عنها فقط.. ولكن للأسف محو الألم تمامًا شيء يستحيل حدوثه.. إنه كالسرطان، كذب كل من قال: إن السرطان له علاج، كذب أكثر من قال إن السرطان يرحل بلا عودة.. كل ما في الأمر أن الخلايا تهدأ قليلاً أو تستكين بخبثٍ ومكرٍ وتنتظر لحظة ضعف أخرى ولحظة غفلة لتستعيد نشاطها من جديد، لذا فحب "هاشم" سيهدأ قليلاً، ولكنه سيقف على أعتاب اللحظات المهملة ليعلن فيها عن نفسه من جديد..

غرق كل منهما في خواطره وشرد في حقل ذكرياته ولم ينبهما سوى انتهاء أغنية فيروز.. نظر "هاشم" لـ"حلم":

- سنقضي الطريق كله صامتين هكذا، لقد قررنا أن نسافر بالسيارة رغم طول المسافة لنستغل الفرصة ونتحدث أكبر قدر ممكن.. هلا يا أميرتي بماذا تحلمين أن يكون اليوم وأنا أحققه لكِ!

- إنه عيد ميلادك أنت.. وأنت من يجب أن تتمنى وتحلم والجميع يحقق لك ما تتمناه.

- وأنا أحلم وأتمنى بأن أحقق لكِ أي شيء تتمنين إياه.

ابتسمت خجلاً من كلماته وشعرت بانجذاب شديد نحوه، ثم أخذا يتناولان أطراف الحديث في مواضيع كثيرة ومرت الساعات بينهما كأنها دقائق، حتى وصلا "مرسى علم" ووصلا للمطعم

ولكنه لاحظ أنها بعيدة عنه بفكرها جدًا، وأنها تدقق النظر في كل جزء حولها.

- أيعجبك المكان لهذا الحد؟!

- ليس إعجابًا ولكني أشعر وكأني جئت إلى هنا من قبل.. منذ دخولي للبلد وأنا أشعر هذا الشعور.

ارتبك "هاشم" للحظات فهو جاء من قبل هو وهي لـ (مرسي علم) ودخلا هذا المطعم وزارا أماكن كثيرة في هذه المنطقة، ولكنه حاول إبعادها عن ذاكرتها سريعًا.

- جئتِ هنا من قبل؟

- لا أذكر أنت تعرف آثار الحادث ولكني أشعر بأني كنت هنا من قبل.

- حسنا وستضيعين الوقت إذن في تذكر أكنتِ هنا من قبل أم لا؟.. أريدك ألا تفكري في شيء اليوم سوى الاستمتاع باليوم.. الاستمتاع وفقط يا حلوتي.

أومأت له برأسها مع ابتسامتها الرقيقة، وهي تحاول أن تخفي ملامح بحثها في ذاكرتها عن شيء يذكرها بهذا المكان.

obeikan.com

تناولا طعامهما.. وأخبرته أنها تشرف على الانتهاء من روايتها، وكالعادة لا تريد أن تفصح له أو

لـ"آدم" عن قصة الرواية ولكنها تؤكد لهما أنها تختلف تمامًا عن سابقتها، وأنها ستكون مفاجأة للجميع.

أنهيا الطعام وخرجا للمشي على البحر، وهناك ذابت مع صوت البحر والهواء وحرارة القرب من "ياسين".. نسيت لحظتها كل ما في الكون ولم تعي شيئًا سوى أنها قربه.. توقفا عند مكان ما أمام البحر، واقترب منها أكثر وصدم عينيه بعينيها وكأنه يضمها بهما..

غرقت "حلم" في دوامة عينيه بلونهما البني.. التي كانت تشعر كلما نظرت لهما وكأنها قطعة من البسكوت تذوب في دوامة من الشيكولاتة.. أرخت عينيها تماما على وجهه وكأنها تستكين عليه، لم تشعر إلا وذراعيه يضماها إلى صدره..

شعرت لحظتها بأن كل صوامع قوتها تنهدم، وكل جيوش صمودها تتقهقر وكل المعارك يعلن عقلها فيها الهزيمة..

شعرت وكأن طوفانا يجتاح كيانها.. وكأن صدره جيشٌ يحتل كل ما فيها.. شعرت وكأن كل خلية فيها تعلن استسلامها وخضوعها له.. تركت نفسها لحضنه، لم تعترض لم تقاومه أرخت يديها وأخفضت رأسها على صدره وأغمضت عينيها.

غاب عنها صوت البحر وأمواجه التي تعلن رفضها لاستسلامها وصوت

الهواء حتى صوت دقات قلبها الذي ينعي ألمًا "هاشم".

- أنتِ الحلم الذي لن يكتمل إلا في الأحلام فقط.

سمعته وهو يردد تلك الكلمات وقبل أن تفتح عينيها أو تستفسر عن شيء .. شعرت بأنفاسه تقترب من وجهها أكثر ويديه تداعب خديها.

- أسمعتي عن عشق قتل صاحبه من قبل؟

- سمعت عن حب يصنع المعجزات.

- ليس دائمًا.. هناك شيء أقوى من المعجزات يدعي قدرًا أقوى من كل شيء.

- إن استسلامنا للقدر يدل على عدم إيماننا بما نملكه وأننا لسنا متمسكين به بقوة.

- يا ليت كل ما نتمسك به يبقى، ويا ليتنا نحن نبقى لنحقق ما نؤمن به ونكون مع من آمن بنا يومًا.

- "ياسين" كل من يخذلنا ويرحل يتحجج باسم القدر والظروف.. من يريد أن يظل سيظل رغم القدر والظروف سيجبر القدر أن يخضع لإيمانه بما يريد.

احتضن وجهها بين كفيه ورفعه عن صدره إليه لتنظر له ثم نظر لها نظرة حيرة:

- "حلم" أنا .... أنا ....

obeikan.com

ثم قاطعه صرخة من عقله... ما الذي تريد فعله يا "هاشم" أستخبرها أنك "هاشم" أو أنك تحبها؟! ستدمر كل شيء في لحظة حنين لحبك.. في لحظة ضعف واستسلام لها يا "هاشم".

ألم تقل حين اتخذت قرارك إنك رجل والرجال لا يعودون في قراراتهم.. وأنت أخذت على نفسك عهدًا ألا تعود وألا تنسحب وألا تهرب من قرارك واختيارك.. أكمل للنهاية يا رجل فلم يبق سوى القليل.. وابعد عن "حلم" إن لم تقو على نفسك.

حينما ظهر في عقله فكرة أن يبتعد عن "حلم" وجد نفسه تلقائيًا يندفع ليقول لعقله:

- لا سأكمل في الطريق.. وسأفعل كل شيء إلا أن أبتعد عن "حلم".. إن السبعة أشهر الفترة التي قضيتها بعيدًا عنها وهي بعيدة عني شعرت بأني مت في البعد مئة مرة.. قاطعه حديثه مع عقله صوت "حلم":

-- كنت تود أن تقول شيئًا يا "ياسين".

-- أنا؟! آه أنا أشعر بأن عيد ميلادي هذا هو بداية مولدي في الحياة، وأن هذا هو عامي الأول في الدنيا.

ابتسمت له ابتسامة خجل واحمرت جبهتها وشعرت بأن نارًا سارت في جسدها من أول رأسها لأطراف قدميها في لحظة.. فأفلتت جسدها من بين ذراعيه.

- يجب أن نعود للفندق ونبدل ثيابنا لنستعد لحفل المساء.. أم أنك ستكتفي بهذه الساعات القليلة بيننا؟!

- كم أود أن أقضي معك عمرًا وليس يومًا.

- مازال أمامنا العمر.

وقعت هذه الجملة على سمع "هاشم" وكأنها قبضت روحه بين يديها.

- حقًا العمر كله لكِ.

- ولك أنت أيضًا.

ابتسم لها "هاشم" واحتضن يديها بين كفيه ونظرا بعيونهما إلى البحر، أحس بأن يديها تهدأ شيئًا فشيئًا في حضن كفيه وعرف أنها شردت بعيدًا عنه في أمرٍ ما، أما حلم فكانت قد ذهبت بعيدًا نحو "الحب".

obeikan.com

لحن الوداع

دقت الساعة السادسة مساء فبدأت "حلم" تعد نفسها لحفل المساء.. كان كل جزء فيها يريد أن يسبقها لذلك الحفل، وكأنها لأول مرة تذهب لحفلة سهرة.. كان قلبها يتراقص فرحا لأنها ستكون مع "ياسين"، اعترف قلبها لأول مرة بأنه فرحٌ بوجوده، ولكنها لم تكن تعلم أن كل هذا الفرح لأن قلبها يرى شريكه وحبيب العمر في صدره، يرى هاشم الذي لا تستطيع أن تراه هي.. نهضت من فراشها وأخذت حمامها وخرجت لترتدي فستانها الأسود القصير وعليه حذاؤها الأبيض ذو الكعب العالي الذي جعلها كعارضة أزياء ستمر أمام المتفرجين بعد قليل.. لم تنس أن تزين نفسها بتلك السلسلة الذهب التي تحمل أسمها وجاءت بشعرها لينسدل كنهر جارف على ضهرها وزارت شفتيها بأحمر الشفاه ووضعت الكحل وقليل من أحمر الخدود علي وجهها.. وأكرمت نفسها بعطرها المفضل.. وضعت خصرها بين يديها وأخذت تدور أمام المرآة؛ هي حقا جميلة.. شعرت بأن هذا الفستان يجعلها امرأة تلك الليلة

كانت تريد أن تكون في كامل أناقتها فهي لا ترضى بأن تكون أقل أناقة

من "ياسين"، تعرف كم هو أنيق ورجولته الصارخة تضفي على جسده شيء من الروعة.. فتحت صندوق زينتها التي أتت به دون أن تعرف ما فيه بالضبط فوجدت فيه "بروش" من الذهب يحمل أسمها أيضًا.. أخذت تتذكر متى اشترته أو هدية من من؟ ولكنها فشلت.. ارتدته على الفستان فوق صدرها ناحية اليسار

دق باب غرفتها واستعجلها "هاشم" ليلحقا الحفل من بدايته.. ألقت نظرة أخيرة على نفسها في المرآة وأمسكت بأطراف أصابعها فهي باردة جدًا وكأنها لأول مرة تقابل "ياسين".. لمَ قلبها يدق بهذه القوة؟ ولمَ أطرافها باردة ترتعش؟

لمَ تشعر أن وجهها ينتفض من حرارته؟

أيمكن لها أن تكون قد أحبت "ياسين".. كيف السبيل لهذا الحب و"هاشم" يحجز عنها كل الرجال إنها لا يمكن أن تخونه وأن تكون مثله وتبيع حب عمرها لرجل آخر مثلما فعل هو ورحل عنها..

نفضت كل ما في رأسها فهي الآن تريد الاستمتاع بالساعات الباقية في يومها.. أخذت حقيبتها الفضية الصغيرة وفتحت باب غرفتها لتجد ذلك القمر الوهج أمام باب غرفتها؛ ببذلته السوداء ورابطة عنقه التي أضفت على رجولته طوفان من الأناقة وشعره الأسود الذي يزيد وجهه وقارًا وذلك البروش الذهب الأبيض الذي يحمل أول حرف من اسمه على بذلته ورائحة عطره التي استعمرت "حلم" في لحظة لمجرد أنها

فتحت الباب.

نظر "هاشم" لها لم يصدق عينه.. إنها تبدو أجمل من كل يوم، فستانها الأسود يحملها لعرش ملكات النساء.. وشعرها المنسدل شعر أنه ينسدل على صدره يكسر ضلوعه من قوته وعينيها التي تبدو كلهيب الجمر المشتعل فتغري الرجل أن يقتحم النيران ليثبت رجولته أمام امرأتِه.. وها هي شفتاها تعاود إشعال الصراع بداخله كما كانت تفعل خمس سنوات من قبل.. فهو يريد أن يضمها يقبلها ويلتهم قطعتي الكرز، ولكن رجولته وجبروته كانا دائمًا يمنعانه من الإعجاب حتى بلون أحمر الشفاة الخاص بها وها هي رجولته تمنعه الآن أن يعلق عليه.. لم يستطع أن يخفي ملامح انبهاره بها وبجمالها الصارخ..

وقع نظره على البروش الذي يستقر علي صدرها فاندهش له، إنه تلك الهدية التي أعطاها لها في عيد ميلادها السابق، أهل تتذكر من أهداها إياه.. فحاول أن يلاشي تساؤلاته وداعبها بكلماته..

- تبدين سيدة النساء.. ستكونين الليلة القمر الذي ينير الأرض بأكملها.. لن يمنعني من الاقتراب منك سوى الخوف من الاحتراق من جمالك المشتعل.

شعرت "حلم" بأن هذه الكلمات كافية لتسقطها على الأرض وتفقدها الوعي ولكنها لابد أن تتماسك.. لابد أن تبدو وكأنها لم تنتظر منه كلمات الإعجاب أو أنها تزينت له خصيصًا.. لا تريد أن يعرف أنها

تحاول اللحاق بأناقته وجماله..

- كف عن مجاملتي فأنا لم أرتدِ شيئًا يستحق كل ذلك الإعجاب

- يمكنكِ أن تنكري أن روعة الفستان ولكن كيف يمكنكِ إنكار روعة عينيكِ وتلك الشفتين اللتين يعلنان جمالاً صارخًا.. كيف يمكنكِ إنكار روعة ذلك الوجه الملائكي الذي يقف أمامي.. لن يصدقني أحد إن أقسمت له أنني رقصت مع ذلك الجمال الليلة.. سيعتقدون بأنني مجنون.. ما من أحد يصدق أن كل هذا الجمال استوطن في جسد امرأة واحدة.

وقفت الكلمات في حلق "حلم" وشعرت بأن حرارة جسدها فاقت حرارة الشمس، وأن جسدها كله ينتفض ويكاد يهوى على الأرض.. كيف بعد كل ذلك ستظل في إخفاء ملامح انبهارها به وأنها تذوب في كلماته وتنصهر من حرارته حتى تكاد ترتمي في حضنه دون أن يضمها.

- "ياسين" سنتأخر على الحفل.. هيا بنا..

نزلا من الفندق وركبا السيارة وانطلقا للحفل.. طوال الطريق لم يصدق "هاشم" نفسه أنه سيرقص مع "حلم" مرة أخرى وربما تكون الأخيرة.. إذن كل ما يجب فعله الليلة هو ألا يفكر في شيء سوى أنه معها وأنه يراقصها ويضمها ويتكلم معها ويذوب في عشقها وينصهر بداخلها.. الليلة لحبها، حبها وفقط..

وصلا إلى مكان الحفل وأنزلها من السيارة ثم دخلا القاعة كان المكان

ينتظر ملكا وملكة مثلهما كان فخمًا جدًا وكانت الأنوار تعلن كيف تكون الليلة من ساعات السعادة والحب..

جلسا على طاولة في منتصف القاعة وكانت الموسيقى هادئة طلبا مشروبًا خاصًا على هذه الطاولة، حيث هو وهي خلعا من عليهما ثياب الخوف والشك والقلق وغدًا والأمس والناس والمستحيل والواجب والعادة التقليد..

حيث قرر كل منهما أن يكون زجاجة نبيذ للآخر، أن يثمله به تمامًا، أن ينسيه كل شيء ويذكره بنفسه وفقط

اثنان يمضيان في الحديث

حديث فارغ من الحب، الأحلام، الخوف

حديث فقط يصهر كل واحد منهما في الآخر، حديث يدخل كل منهما في الآخر

حديث كساعد مشتد يستند عليه كلاهما ليظلا عالقين

بين الحب، والصداقة، والمجهول.

الأحاديث التي بلا موعد، ومكان، تخطف من قلبك الصدق وتهرب، تنتهز ارتباك اللحظة وتسرق منك ما أخفيته عمرًا وبعثرته ذات ارتباك.. كلاهما كان في لحظة ارتباك، كلاهما سرق منهما الحديث صدقهما.. ظلا يتحدثان دون معرفة كم ساعة من الوقت سرقا، وكم

obeikan.com

صدق اللحظات سرقت منهما..

ثمة لحظات تكفي لنحكي فيها كل شيء، وثمة دهر لا يكفي لإلقاء التحية، عقارب الساعة لا تقيسها كما نقيسها نحن؛ إنما اللهفة التي تجعل عقارب الدقائق يلاحق عقارب الساعات ليسرق منها وقتًا يكفي لعاشقين أن يكونا معًا.. حتى لو لم يكونا معًا.

وثمة أحاديث تظل معلقة على قارعة طريق الصمت تتنظر كلمة تفتح لها الباب، ترشدها إلى وجهتها تعلق لها من بوحها لافتات تساعدها لتصل إلى الطرف الآخر.

ثم بدأت موسيقى الرقص فقام كل اثنين من طاولتهما وتقدم لحلقة الرقص فقام "ياسين" وعدَل من بذلته ثم قدم يده إليها ليدعوها لتلك الرقصة، كان أنيقا في معاملته لها جدًا وكأنه ملكٌ تربى في القصور والممالك.. تقدمت معه ضم يدها بيده ووضع يده الأخرى حول خصرها شعرت لحظتها أنه جيش يجتاح كيانها ولا تستطيع حتى المقاومة.. وضعت يدها الأخرى على كتفه..

شعرت بأنها تعلق يدها على السعادة.. اندمج كلاهما في الرقصة وثبت نظرته عليها طوال الرقصة لم يتحدثا ولكن تركا عيونهما تفصح عن كل شيء وتغازل الأخرى، كانت عيناه تحكي لها عن كل ما لا يستطيع البوح به..

وكانت عيناها تشارك عينيه الفرح مرة والألم مرة أخرى.. ولكن

كانت عيناها أحيانا تخذله وترسل له نظرة تخبره فيها أنها لا تستطيع الاستمرار معه.. كان يرى "هاشم" يقف بين عينيه وعينيها.. أرسلت عيناه لها نظرة غضب فهو لا يريد أن يرحل عنها قبل أن تنسى "هاشم".. وبعد كل ما يفعله وكل كلماته التي يسحرها بها لم يستطع أن يقربها من "ياسين" ويبعدها عن "هاشم"..

خاطب نفسه معاتبا لها:

--ما الذي سيحدث يا "حلم" لو اقترب موعد الرحيل قبل أن تنسي "هاشم"، ما فائدة ظهور "ياسين" إذًا.. لم أعرف أنك ستكونين وفيه لـ"هاشم" بهذا القدر ولم أعرف أنه يستوطن بحبه قلبك بهذا الشكل.. لم أصدقكِ حينما كنتِ تخبرينني بأن حبي لك سيدوم للأبد حتى لو لم أكن بالقرب..

كم أود الآن أن تنسيني يا "حلم"، مرت سنة على غيابي عنكِ ولم أنسحب من قلبك ولو لدقيقة.. كل هذا وفي حياتك رجل آخر.. كيف كان الوضع سيصبح لو لم يكن "ياسين" موجود في حياتك.. بوجود رجل آخر تتعلقين بي أكثر .. ما الحل؟

لا أعرف.. أندم كثيرًا على حبي لك يومًا بهذا القدر، يا ليتنا كنا كأي حبيبين يأتي عليهما يوم ويفرق بينهما القدر فيبدأ كل منهما حياة جديدة مع أشخاص آخرين،

فاق فجأة حين سمع الجميع يصفق لانتهاء الرقصة وسحب يديه من

حول خصرها وقبلها على يديها وعادا لطاولتهما..

قطعت "حلم" الصمت الذي بينهما.

- "ياسين" كل عام وأنت بخير.. السنة المقبلة تكون أسعد عليك..

- وعليكِ أيضًا.. هذا هو أفضل عيد ميلاد لي لأنكِ فقط تشاركيني فيه.

- "ياسين" أيمكننا الخروج قليلاً لنتمشى على البحر؟

- بالطبع تفضلي.

خرجا من القاعة وذهبا للبحر وتمشيا، قطع "ياسين" حيرتها بسؤاله:

- أتريدين أن تخبريني شيئًا.. شعرتُ وكأن عينيكِ ونحن نرقص تريدان أن تخبراني أمرًا..

- "ياسين" لم أكن أريد أن أنهي عيد ميلادك بهذه الطريقة ولكني لا أستطيع..

- ما الذي لا تستطيعينه؟!

- لا أستطيع الاستمرار معك.. أنا في حياتي رجل آخر.

اندهش "هاشم" باعترافها ونظر لها معاتبا أنها مازالت تذكر "هاشم"، ولكنها فهمت أن نظرته غضب من أنها كذبت عليه..

- لا أقصد أني أخون هذا الشخص معك أو أني كذبت عليك.. هذا

obeikan.com

الرجل لم يعد موجودا الآن في حياتي ولكنه موجود في قلبي حتى إني لا أستطيع تذكر كل شيء عنه لا أستطيع تذكر وجهه وأشياء أخرى كثيرة مشوشة جدًا بداخلي يحفها الضباب بأكملها، حتى إني لا أتذكر كيف كان في حياتي بالضبط ولكني أتذكره جيدًا وأتذكر أنه يسكن قلبي.. ولكني لا أستطيع التخلص منه لا أستطيع الشعور برجل غيره.. حين أخرج معك أتخيله أمامي.. وحين أراقصك أتمنى لو أنه أنت..

"ياسين" أنت رجل رائع وإن كنت قابلتك منذ زمن لكنت وقعت في حبك ولكن الآن لا أستطيع وأعترف أني انجذبت كثيرًا إليك ولكن لأنك تشبه رجلي كثيرا... حتى إني أشعر للحظات أنك هو

ارتبك "هاشم" بعد جملتها الأخيرة، وحاول أن يخفي ملامح ارتباكه .. فأخفاها بملامح الغيرة والحزن..

- ألهذا الحد نشبه بعضنا؟

- في أمورٍ كثيرة ربما هذا هو السبب الذي أتاح لي أن اقترب منك.. فلو كنت أتذكر وجه "هاشم" لما استطعت أن انظر لوجه رجل آخر.. أعتذر يا "ياسين" ولكنك لا تستطيع أن تتفهم كم هو حبي له

- وأين رحل إذًا؟

- لا أريد النقاش في هذا الأمر مجددًا يا "ياسين" روايتي كانت تحكي عنه الكثير..

- روايتك تحكي عن رجلٍ قاسٍ، هل كان كذلك؟

- رحيله كان كذلك..

- ألا يمكن أن يكون أصيب في حادث مثلك أو مات؟

وهنا وضعت "حلم" يدها بسرعة على شفتيه وقاطعت كلماته:

- لا تُكمل.. يرحل ويخذلني.. يقسو عليّ ويخونني مع ألف امرأة وامرأة.. يبيع كل ما بيننا ولكن يبقى على قيد الحياة.. إلا الموت.. فموت "هاشم" هو موت لي في الحال.. أنا لا أكرهه لأنه خذلني ورحل وأنه تركني في شدتي.. ولكني أكرهه لأني أموت شوقًا وقلقًا عليه وهو لا يقدر ذلك.. أريد أن أعرف كيف هو الآن وكيف يعيش.. "هاشم" كان حبيبي وصديقي وابني قبل كل شيء.. ابني الذي لم أكن أستطيع أن أتناول طعامي قبل أن أعرف هل تناول طعامه أم لا؟ ولا أعرف أن أنام قبل أن اطمئن أنه أخلد لنومه ولا أعرف أن أفعل أي شيء قبل أن اطمئن عليه..

أريده يرحل وينجح ويقابل فتاة تحبه ويتزوج وكل شيء، ولكن يكون سعيدا ويطمئنني عليه.... أخشى أن يقع في حب فتاة لا تحبه أو تجرحه في النهاية ويتألم..

أتمت جملتها وسقطت.. سقطت "حلم" وسقط معها كبرياؤها، وسقط معها قناع ارتدته منذ الحادث أمام الجميع حتى أمام نفسها في مرآتها.. قناع أخبر الجميع أنها قوية من بعده، وأنها اجتازت تلك

الفترة بلا أي آثار جانبية، أنها تخطت ذلك الفراق الذي تعثرت فيه في طريقها.. سقطت "حلم" ليسقط معها عمر بأكمله بات متشبثًا برائحة عطر "هاشم"، بذكرياته معها، بالضوء الخافت جدًا الذي تبقى لها في الطريق الذي رحل منه.. مازلت تنتظره.. إنها حقًا تنتظره، رغم الرواية، ورغم "ياسين" هي مازالت تنتظره، رغم الوجع وكرامتها مازالت تنتظره.. سقطت حلم لتعلن أمام نفسها أنه لا شفاء من "هاشم"، ولا نسيان له، ولا مفر منه.

- انحنى لها "هاشم" ليجلس أمامها على ركبتيه؛ احتوى وجهها بكفيه وضمها فيهما.. رفعت عينيها إليه وبمرارة الخيبة رددت:

أيتألم هاشم في غيابي؟ من مثله لا يستحق الألم، يستحق الحب، يستحق أن يحتويه ضمة امرأة تحبه حقًا، تطيب آلامه، تكن له أمًا وحبيبة وصديقة، تكن له العالم، لا تفعل شيئًا في هذه الحياة إلا لأجله، تعيش وتموت لأجله، تبيع العالم كله وتشتريه هو..

ضمها فجأة "هاشم" لحضنه وأخفى سيل دموعه الذي قاومه طوال نظراتها له..

- كيف يكون ذلك حكمك عليه بعد كل ما فعله معك؟

- أنا أحب "هاشم" يا "ياسين" أحبه حبًا لم يولد في قلب فتاة لرجل حتى الآن.. متى يرسل لي دعوة فرحه يا "ياسين" وأعرف أنه سعيد ويحيا بحب جديد حتى أسعد أنا أيضًا ويطمئن قلبي عليه!!

- وحبك؟ وكرامتك وقلبك؟!

- قلت لك إنه ابني قبل أن يكون حبيبي.. هل يوجد أم لا تنتظر أن تجد ابنها رجلاً سعيدًا لتسعد له من قلبها وليطمئن قلبها عليه.. أنا أريد أن أراه يا "ياسين"، أريد أن اطمئن عليه من بعيد.. هل هذا كثير عليّ؟!

لا أعرف لماذا يبخل عليّ القدر بأبسط حقوقي.. أنا لا أريده أن يعيد لي "هاشم"، ولا أريد أن أكون أنا ذلك الحضن الذي يضمه يومًا ما، ولا أريد أن أكون تلك المرأة التي تستبدل وسادتها بصدره يومًا أنا سأتنازل عن كل ذلك لامرأة أخرى ليكون سعيدا، رغم أنه مؤلم جدًا أن تتنازل امرأة عن رجلٍ تراه في كل الوجوه لامرأةٍ أخرى.. لمَ بعد كل ما سأفعله لأجله يرى القدر أني مازلتُ لا أستحق حتى رؤيته من بعيد؟!!

- وإن تزوج هو ووجد حبًا جديدًا يحييه.. أين حياتك أنت ومتى ستقابلين الحب الذي يحييكِ..

فكت أسرها من بين ذراعيه ونظرت له نظرة غضب وكأنه حكم عليها بالإعدام..

- كيف أتزوج رجلاً غير "هاشم"، ومن يمكن أن يحييني غيره وأين ذلك الحب الذي سيعصف بحب "هاشم" وينسيني إياه.. فأنت رغم قوتك ورجولتك وكل ما فيك لم تفعل شيئًا سوى أنك تعيدني لـ"هاشم" أكثر.. أنا يكفيني أن يحيا هو بحب جديد لأحيا أنا.. يكفيني أن يسعد هو لأشعر أنا بالسعادة الأبدية.. يكفيني أن يتزوج وينجب طفلاً يشبهه

لأشعر أن لدي مئة طفل.

- هذا ليس عدلاً.. هذا حكم بالإعدام حكمتيه أنتِ على نفسك بعد رحيل رجل لا يستحق.. ولم يهتم حتى بوداعك..

- العدل سقط يوم رحيل "هاشم" عني .. أهل كان رحيله عدلاً لآتِ الآن وأطالب بالعدل؟

كم أنه حتى لو لم يكن رجلاً يستحق.. ولكن حبه في قلبي يستحق وسنوات السعادة التي أهداني إياها تستحق..

الحب الذي يحجب عني كل الرجال يستحق... حين لا أقوى على نسيانه.. إذن فهو يستحق

الحب الذي لا ينسى.. يستحق أن نبكي على ضياعه..

الحب الذي لا يتكرر.. يستحق أن نتألم لأنه لم يعد لنا..

الحب الذي يستعمر القلب للأبد.. يستحق أن نفي له طوال حياتنا..

الحب الذي لا يستطيع العقل هزيمته.. يستحق أن ينتصر ويبقى للنهاية..

أعتذر يا "ياسين"، بيني وبينك هوة عميقة لا أستطيع الوصول إليك ولا أنت تستطيع الاقتراب مني بسببها، هذه الهوة هي الرجل الذي أحببته يومًا..

ضمها إلى صدره مرة أخرى ثم بكى وردد في صمت.. أعتذر ولكني بذلك مجبور أن أقتلك معي يا "حلم"، ضمها أكثر واقترب من عنقها وقبّلها..

أقبل عنقها فأحيا من جديد..

ثمة أشياء نفعلها بدافع الجنون، الرغبة ولكننا نكتشف بعد قيامنا بها أننا لم نعش قبلها!

وأن تقبل عنق امرأة، وتخالط عطرك بعطرها وتبتلع شيئا من أنفاسها وتحاصر عروق عنقها في لحظة خاطفة من القدر لهي الحياة من جديد..

وأنا حين أقبل عنقها لا أتذكر شيئا من حياتي سوى أنني أريد أن أبقى على قيد هذه القبلة، وهذا العناق

أريد لو تنتهي الحياة بعد هذه اللحظة..

ما أحلى الموت بعد تقبيلها!

ما أحلى الموت بكل انتشاء من عطرها..

ما أحلى الموت في حياتها!!

إنها امرأة تعرف كيف تحاصرني بأنوثتها وأعرف كيف أحطم كل ما فيها من قوة برجولتي

ما أحلى الضعف عشقا!

obeikan.com

وما أعظم انهياراتنا بين ذراعيّ من نحب!

هكذا شعر "هاشم" وأسر قبلته في صدره بسعادة مغلفة بكثيرٍ من الألم.

obeikan.com

نقطة الصفر

عادت "حلم" من رحلتها وفي عينيها بحر هائج من الدموع.. فهي أعلنت بقوة لـ"ياسين" أنها لا يمكن أن تستمر معه رغم أنها تعلقت به.. مرَ أسبوع وهي في غرفتها تعاني آلام البعد عنه بعد أن اعتادت أن تحادثه يوميًا وتقابله مرتين في الأسبوع على الأقل.. ولكن لم تكن تعاني من آلام البعد عن "ياسين" فقط ولكنها كانت تعاني من توسلها وتضرعها للجزء الذي مازال عاريًا متمسكًا بحب "هاشم" علّه يقبل توبتها.. فهي تشعر تجاهه أنها خانته مع "ياسين"، وأن حب سنوات لم يكن عليها أن تخونه في شهور.. لم يكن رحيل "هاشم" عنها دون سبب أو عذر، مبررًا لخيانتها لحبه..

مازال ذلك الطفل الملائكي الذي بداخلها يلهث خلف جلباب الحب الذي ارتداه "هاشم" بجانب "حلم" سنوات، مازال يصرخ عند نومه منتظرًا "هاشم" يأتيه يهدئ من روعه، ولكن ضد كل هذا فهناك عقلها الذي تحول إلى حجر صلد قاسٍ أو عقل آلي يفكر بكل السبل التي تربحه في النهاية دون مراعاة للمشاعر، ومن يستوطنون ذلك القلب الضعيف..

أحيانا تراه "حلم" صحيحًا.. فكم من سنوات قضتها تحت رحمة المشاعر ومن يستوطنون القلب.. ماذا أخذت في النهاية سوى صفعة من القدر لم تستطع أن تفيق منها حتى الآن؟

وأحيانا تراه مخطئًا ومازالت تشعر بأنها فعلت شيئًا خطأ قبل الحادث تستحق أن يتركها "هاشم" عليه ويرحل ولكنها لا تتذكر..

مازال قلبها يخلق له ألف عذر وعذر ليقف في صفه ويعطيه حق الرحيل.. ومازال عقلها يصرخ بألف لا، دائما يذكرها بكرامتها التي سحقت تحت أقدام "هاشم" حين تركها ورحل دون أن يلتفت لها وخاصة في شدتها..

نفضت "حلم" كل ما يجول بخاطرها وأصدرت أمرًا بوقف ذلك الصراع والنقاش الحاد بداخلها فورًا وأمسكت بهاتفها لتتصل بـ"ياسين"، فهي فقط تريد أن تطمئن عليه وتخبره بأن ما بينهما لا يمكن أن يموت حتى على الأقل صداقتهما..

مرةً واثنتين وعشرا من المحاولات للاتصال به ولكن دون جدوى فهو لا يرد.. اختنقت "حلم" وشعرت بالانكسار، ثم نظرت لمرآتها معاتبه لنفسها:

- كيف يرد بعد كل ما قولتيه له.. كيف يرد بعد ما علم أنك تعلقتِ به فقط لأنه يذكرك بحبيبك؟.. كيف يرد بعد ما علم أن رجولته وقلبه واحتوائه لك كل ذلك لم يستطع أن يحرك منك جزءًا ناحيته إنها

كرامته التي جُرحت قبل أن يكون قلبه..

فليس سهلاً على الرجل أن يحب امرأة ويجد رجلاً آخر يستوطنها وهو بعيد عنها، وأن يقدم لها كل شيء، ورغم ذلك يجد روحها متعلقة بآخر خذلها ورحل.. هنا تعاني رجولته شرخًا كبيرًا ويقوم فيها ثورة كبيرة لا يخمدها كل كلمات الاعتذار..

ضاق صدر "حلم" أكثر فهي لا تريد أن تكون النهاية بينها وبين "ياسين" بهذه الطريقة، وألا يكون هذا ردها لكل جميل فعله لها..

يكفيها أنه أعاد لها الإحساس بـ"هاشم" وحرارته ونظراته الحادة ودوامة عينيه الجاذبة..

كيف تكسره بهذه الطريقة وفي يوم عيد ميلاده الذي ظنه أجمل عيد ميلاد لأنها تشاركه إياه.. من أجل رجل خذلها ورحل أصبحت قاسية وجافة مع الجميع هكذا!!.. من أجل رجل لا يستحق الذكرى تكسر بقلب آخر هكذا.. من أجل رجل لم يمنحها سوى صدمة العمر تصدم رجلاً آخر بهذا الشكل، ألم تكن هي التي عانت ألم الخذلان شهورًا كيف تحقنه لشخص آخر ليتذوقه كل يوم كما تذوقته هي؟!!

أيمكن أن تكون أرادت أن تنتقم من "هاشم" في أي رجل آخر أم أنها أرادت أن تعاند عقلها فحسب؟

لم تكن تعرف أي شيء .. "حلم" في هذه الفترة تعاني من تذبذب بداخلها تجاه كل شيء وكل الأشخاص حتى "آدم" أصبحت تشك بأن

وقوفه بجانبها كل هذا الوقت شفقة عليها لا حبًا فيها..

وما إن تذكرت هذه الفكرة حتى عقدت جبينها وتمتمت بضع كلمات تغضب فيها من نفسها.. كيف يستطيع القلق بداخلها أن يقترب من "آد" ذلك الرجل الذي لم يستطع "هاشم" أن يقترب منه أو يغيرها تجاهه.. تأتي اليوم وتجعل صراعا غبيا بداخلها يقترب من "آدم"، ويمس مملكته بداخلها ويحاول تغييرها تجاهه..

وضعت يديها في خصرها ورفعت حاجبها ونظرت لنفسها في المرآة متحدية نفسها (إلا "آدم" هذا خط أحمر وكفى)..

أمسكت هاتفها واتصلت بـ "آدم"، وطلبت منه أن يحضر لها بعد الانتهاء من عمله..

*****

وصل "آدم" منزلها في التاسعة مساء.. فخرجت من غرفة المكتب بعد ما أنهت فيها حوالي أربع ساعات تكتب في روايتها الجديدة.. استقبلته بابتسامة عريضة، فهي افتقدته حقًا في هذه الأيام فهي لم تره منذ أن عادت من (مرسى علم) ..

صافحته بحرارة وطلبت من الخادمة أن تأتي بالشاي والشيكولا التي يحبها وأن تحضرهما لهما في الحديقة.

جلسا معا ثم تنهدت تنهيدة طويلة.. فهم "آدم" منها أنها تحمل أمرًا

obeikan.com

يؤلمها وتريده أن يشاركها فيه ويحمل عنها جزءا منه..

- كيف كانت رحلتك لـ (مرسى علم)؟

- "آدم" أنا تركت "ياسين"..

شهق "آدم" من جملتها وبدت على وجهه ملامح الدهشة..

- ما حدث.. هل ضايقك في شيء هل أخبرك أمرًا أزعجك؟

- لا "ياسين" إنسان محترم جدا وشخص رائع ولكن أنا لم أستطع يا "آدم"، أنا أحسست وأنا معه بالخيانة لـ"هاشم"..

وقف "آدم" حين أتمت جملتها باسم "هاشم".. وعقد جبينه معاتبا لها وبصوت عالٍ وحاد:

- "هاشم ..هاشم"، ألن ننتهي منه يا "حلم" ألن تنسيه كما نسيك هو ورحل.. افتحي عينيك يا "حلم" أين "هاشم"، هل هو حولك بالطبع لا، "هاشم" سافر يا "حلم" باعك وباع كل شيء هنا وباع الحب من أجل نفسه وعمله وطموحه...

كيف تكونين وفية لمثل هذا الشخص، كيف تخلصين لمن باع حبكما بأرخص الأثمان وخان كل الوعود التي بينكما؟!

كيف مازلت تفكرين في رجل شطب اسمك من ذاكرته بتذكرة طائرة.. كيف مازلت تستطيعين على سحق كرامتك تحت أقدام مجرد ذكريات غبية باسم الحب جمعتكما يوما وهو يتسلى و ....

وقبل أن يتم كلمته وقفت "حلم" أمامه بعد أن أغرقت الدموع عينيها ورفعت أصبعها في وجهه وبصوت حاد..

- لا تكملها يا "آدم"، أقبل منك كل شيء وأي شيء عن "هاشم".. أن تلومني لأني مازلت وفية له وأشتاق له، لومني على كل شيء إلا أن تقول إن "هاشم" قضى سنين حبه معي يتسلى بي ... "هاشم" رجل يا "آدم" لم يتسل بي يومًا، ولم يعبث بمشاعري ولو لحظة ولم يعطني كلمة حب دون إمضاء الصدق عليها..

- مازلتِ تصدقين إنه رجل.. كيف يكون رجلاً ويخذلك ويرحل؟.. كيف يكون رجلاً ويخون كل ما بينكما من وعود؟ كيف يكون رجلا ويتركك وحدك وأنتِ في أمس الحاجة له ويرحل؟.. كيف يطعنك في قلبك ويكون رجلاً.. لا أصدق أن يأتي عليك اليوم ومن أجل الحب تفكرين بقلبك وتغمضين عينيك حتى عن الحقيقة وما هو واضح كالشمس تماما!!

تقنعيني أنه رجل ولم يتسل بك لأنه أحبك خمس سنوات بصدق.. الرجل هو من يحب حتى الموت.. لآخر العمر وليس خمس سنوات أو عشر أو حتى عشرين... الرجل حين يحب يشهد القلب بحبه حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة.. هذا هو الرجل ولا أعرف تعريفا آخر له ...

هذا آخر كلام بيني وبينك عن "هاشم" واختاري بيني وبينه يا "حلم" وانسي معه أيضًا "ياسين" فأي اختيار لك في الحب الآن سيكون

خطأ فأي اختيار لك الآن سيكون إما لتنسي "هاشم" به أو لتبحثي عن "هاشم" فيه، وفي الحالتين أنتِ تظلمين الرجل الذي ستختارينه وتظلمين نفسك معه حتى تفوقي من دوامة "هاشم" يومًا..

لا تحدثيني ولا أريد أن أسمع صوتك ثانية أن اخترتي "هاشم".. أنا أو هو وهذا فراق بيني وبينك..

انصرف "آدم" من أمامها في أقل من لحظة.. هوت "حلم" على كرسيها وهي لا تستطيع نطق حرف أو حتى البكاء.. هي لا تصدق تلك الثورة التي ثارها "آدم" عليها وعلى "هاشم".. ألهذا الحد "هاشم" بشعًا وسيئًا وهي لا تري ذلك لأنها تحبه!! ألهذا الحد ما فعله جُرمًا يستحق أن يعاقب عليه بالموت وهي لا تشعر بذلك لأنها لا تقو على التفكير في موته أو حتى ألمه؟!!

كيف يتحدث "آدم" بهذه الطريقة عن "هاشم" بعد أن كان شاهدًا على حبهما وعشق "هاشم" لها قطعت كل هذا الصراع بداخلها بصرخة عالية أطلقتها لتصل للسماء السبع... انطلقت كرصاصة في قلب "آدم" حين سمعها، حيث مازال في سيارته خارج الفيلا لا يستطيع الانصراف، وهي في هذه الحالة ويبتعد عنها ولكنه أيضًا كان عليه أن يتخذ قرارًا يشعرها بأنه أصبح لزامًا عليها نسيان "هاشم" وإخراجه من حياتها..

فضغط بيديه بقوه على (الدريكسيون)..

- لماذا يا "هاشم" لماذا؟ لماذا أنت من كل هؤلاء البشر؟ ولماذا يحدث هذا لـ"حلم" ماذا فعلت هي لتعاقب بهذا الشكل؟!!

كل هذا لأنها أحبت!! أعطني سببًا واحدًا أقتنع به يفسر لي كل ما يحدث الآن؟!

*****

مرت ثلاث ساعات و"حلم" في الحديقة شاردة غارقة التفكير في كل كلمة قالها "آدم" عن "هاشم" ثم انتفضت من مكانها وذهبت لوالدتها..

- ماما .. ألم تقولي إننا نملك بيتًا في السخنة؟

- آه يا حبيبتي.. ماذا تريدين منه؟

- أريد أن أذهب لهناك أقضي يومين.

- حسنًا.. دعينا نجهز الشنط ونذهب.

- أمي أريد أن أقضي يومين وحدي... أحتاج فقط لمن يوصلني لهناك.

- "حلم" أنتِ مازلت متعبة ولا أستطيع تركك وحدك..

- ماما بالله عليك.. أنا متعبة لأني هنا وأحتاج أن أكون وحدي ليومين فقط، واطمئني هاتفي معي وأي شيء يحدث سأتصل بكم حالا..

- كما تحبين يا حبيبتي.. سأحضر لك الشنطة وسأجعل السائق

openkan.com

يوصلك.

- أمي لا أريد "آدم" أن يأتي لي أريد أن أكون وحدي.. وحدي وفقط يا أمي..

-- حاضر يا حبيبتي..

*****

وصلت "حلم" للشاليه الخاص بهم في السخنة فتحت الباب.. المكان حقًا خلاب ويسحر العقل، فالشاليه يطل على البحر ويشبه الأكواخ الخشبية فمعظمه من الخشب؛ بهو ليس بالصغير من الخشب به أريكة وأربعة كراسي من النوع الأمريكي وستائر بيضاء تغطي معظم الجدران ومطبخ مفتوح وأربع درجات من السلم ترتفع لتجد سريرين ومنضدة خشبية..

المكان حقًا رائعًا وقفت لتستنكر ذاكرتها كيف لا تستطيع تذكر شيء بهذا الجمال والروعة

صعدت لأعلى وضعت حقيبتها ثم أخذت مفاتيحها وخرجت للمشي على البحر..

كيف يكون كل ذلك البحر بأمواجه لم يستطع أن يرد لها بقوته ذاكرتها حتى لوجه "هاشم" من هو ذلك الرجل الذي يأسرها بهذا الشكل.. من هذا الرجل الذي يصعب على الذاكرة نسيانه؟ كل شيء تجاهه، رغم تذكرها له مشوش جدًا.. وحين نظرت للبحر وأمواجه وهي تأخذ معها

obeikan.com

كل شيء على الشاطئ وهي عائدة للخلف.. تذكرت القدر كيف منحها "هاشم" وكل ذلك الحب والسعادة التي غرقت فيها ثم جاءت أمواجه لتقترب من شاطئ حياتها لتأخذ كل شيء في لحظة وتنسحب للخلف مرة أخرى وكأنها لم تفعل شيئا.. تركها مذهولة مما حدث، كيف بعد كل ما امتلأت به حياتها .. فجأة أصبحت فارغة هكذا وذاكرتها كيف استطاعت أن تخترقها أمواج القدر وتأخذ كل شيء وترحل وكأن شيئًا لم يكن؟!!

كيف تأتي علينا ليلة نحتضن فيها صورة الحبيب في ذاكرتنا وصوته في صدرنا ووعوده في قلبنا، ثم نغفو بعد أن تداعبنا أحلام السعادة التي تنادينا للنوم كي يزورنا فيها من نحب؟... فنستيقظ وفي أقل من لحظة يتغير كل شيء وتأتينا الليلة التالية فارغين من كل شيء من صورة من نحب وصوته ووعده حتى أحلامنا تهرب منا... كيف ننسى كل شيء ويتخلى عنا كل شيء فجأة؟

كيف علينا أن نستوعب صدمة كهذه.. ونتحمل صفعة كهذه ولا نقع منها؟!

كيف يستطيع الحب أن يغرينا حتى يجذبنا للدخول لأعماق من نحب ونقاوم معه كل أمواج القدر والظروف، ثم يصل بنا إلى دوامة العشق يغرقنا .. ينسينا من نحن ومن أين أتينا.. نذوب ونذوب ونذوب حتى نصل للانصهار فيه.. ثم في لحظة يلفظنا على الشط مرة أخرى دون تنبيه أو إذن ...كيف يقفز بنا من الدوامة إلى الشط فجأة؟!!

opelikan.com

ومن نحب وحبنا وعشقنا وانصهارنا والدوامة التي غرقنا فيها كل ذلك لا يحق لنا أن نودعه أو أن نتمسك به؟

لمَ دائمًا القدر يفعل ما يشاء وما يهواه هو دون التفكير بنا؟

أهذا الأمر يقتلنا أم يحيينا.. لا يهم!

أهذا الأمر يسعدنا أم يشقينا.. لا يهم!

أهذا الأمر يغضبنا أم يرضينا... أيضا لا يهم!

أهذا الأمر نريده أم لا... نحتاجه أم لا... نطلبه أم لا... كل شيء لا يهم!

مادام الأمر يسعده هو ويرضيه ويريده ويحتاجه هو... نحن من بعده لا يهم!

بأي حق يعطونا الحق في اختيار من نحب إن كان القدر هو من يعطي الرأي النهائي في اختيارنا موافق أم لا؟!!

بأي حق نؤمن بشعارات سخيفة؛ بأن قلوبنا ملكنا ومشاعرنا ملكنا مدام القدر هو من يهدي القلوب والمشاعر للشخص الذي يهواه هو وليس نحن؟

أحد يجيب تساؤلاتي.. صرخت "حلم" بأعلى صوت وبأكبر قوة تمتلكها.. صرخة شعرت بأن الأمواج تراجعت من خوفها شعرت بأن السماء اهتزت لها وأن الأرض انقبضت منها،

obeikan.com

تذكرت حينها "ياسين"، وكيف خانته مع ذكرياتها لهاشم ولكن، ثمة خيانات تثبت لنا أننا مازلنا أحياء من داخلنا، خيانة حب جديد من أجل عهد قديم؛ تثبت لك صدقك في حبك، خيانة الزمن والحاضر والمستقبل مع الماضي مع ذكرياتك تثبت لك كم مازلت وفيًا، ثمة خيانات تخبرك أن قلبك مازال نابضًا، ثمة خيانات تشعرك بحبك لذاتك..

تذكرت حينها "مجرد كاتب" لم تراسله منذ زمن، اكتفت بـ"ياسين"، ونسيت مقالات ذلك الكاتب ومراسلتها له، توجهت إلى الشاليه مرة أخرى، هي بحاجة إلى مراسلتها، بحاجة إلى الصراخ لأحدهم، ولكن هذه المرة سيكون صراخًا بشكل لآخر.

كتبت لك يومًا ما حال الذين بلا ماضٍ، الذين فقدوا شهية الذكريات ووجعها، الذين لم يتجمعوا مرة أخرى على طاولة الذاكرة ليلاً يلتهمون لحظات سعيدة من الماضي لتبقيهم أحياء إلى غد وبعد غد..

الآن أخبرك أنا كيف حالهم.. هم الآن يتخبطون في من حولهم كأنهم مغشي عليهم، كأنهم بلا وعي.. بلا عقل.. بلا ماضٍ.. ماضيك هو ما يبقيك..

الآن أخبرك وبكل صراحة أني ما عدت أعرف إن كان عليّ أن أنعي ماضيّ أم أزف موته، أأبكي من أجل ضياعه أم أبارك للنهاية..

أريد أن أجد أحدًا يسمعني، يشعر بالأنثى التي تصرخ بداخلي، التي

تصارع فراقًا لا شفاء منه، التي تحيا بالموت، التي تبحث في كل زجاجات الأدوية عن مسكنات لأوجاعها، التي تذهب كل يوم إلى فراشها تبحث عن شيء في خزانة ذاكرتها يعيدهم إليها ويعيدها إليهم.. أولائك الذين رحلوا دون سبب، دون شفقة.. دون رحمة..

أشعر أحيانًا بأني ممتلئة بأحدهم في قلبي ولكن يديَّ فارغة منه جدًا، ما الحل؟ يداي جفت من فرط فراغها، وقلبي يتساقط حبه أرضًا من فرط امتلائه به.. أخشى أن ينكسر قلبي من فرط حبه بمن لا يعنيه أمري.. ما أثقل قلبي، وما أفرغ يدي وما أبشع ذاكرتي المثقوبة..

- أحسدك كثيرًا لهويتك المجهولة، أنك تصرخ بملء أوجاعك دون أن يحذرك أحدهم، دون أن تخشى مكانك الاجتماعي، أو المهني أو أي شيء آخر..

كم أحسدك أن تخزّن ذكرياتك في ألف ذاكرة ممن يقرؤنك، فما عدت تخشى ضياعًا في يوم ما... أنا أتمنى لو أكتب فقط (أني مازلت أحبه أكثر من قبل) ولا يلومني أحد، أن أكتب أني مازلت أعاني ضياعًا هائلاً بعده، وأنني أشعر دومًا أن السماء والأرض طابقتان على بعضهما وأنا بينهما أعاني ضيقًا تنفسيًا حادًا وأحاول بملء ضعفي أن أرفع السماء قليلاً بذراعين من وهن.. علّها تعطيني حق الحياة لدقيقة واحدة أبحث فيها عنه وأخبره أني وبرغم كل شيء (أحبه جدا)..

- أنهت (رسالتها) لياسين ولكن هذه المرة ترددت أتبوح باسمها.. هل

تريد أن يضمها أحدهم.. أن يشعر بوجودها ولكن.. هي تأبى أن يعتقد ياسين ولو للحظة أنها نفس الفتاة التي أحبها، أو أنها الروائية حلم الصواف؟ لذا قررت ختم رسالتها بكذبة صغيرة، فكتبت:

- ولأنك أصبحت ملجأي الوحيد.. فخاطبني بي وباسمي (ناريمان)..

لم تكن حلم تدرك أنها بكذبة صغيرة ستحصل على اعتراف كامل، على حقيقة موجعة وستجني من كذبتها ألف وجع بعد ذلك..

*****

ذهبت "حلم" إلى المطبخ لتعد لنفسها وجبة خفيفة تساعدها على إكمال يومها، أخرجت كيس البطاطس من (الفريزر) وبدأت في قلي القليل منه وتقطيع بعض شرائح الطماطم والفلفل معه.. سمعت صوت (حاسوبها) وهو ينبهها برسالة جديدة على صندوق الرسائل.. أيعقل أن يكون ياسين رد بهذه السرعة، تركت ما في يدها وذهبت إلى حاسوبها لتجدها رسالة لعرض إعلان من إعلانات المواقع الإلكترونية التي تزور صندوقها البريدي بين حين وآخر..

حبست غيظها وخيبتها وعادت إلى المطبخ تكمل إعداد الطعام..

رسالة كتلك لن تمر على "هاشم" مرور الكرام هكذا، ولن يرد عليها كأي رسالة وصلت منها من قبل.. إنها رسالة تشبه "حلم" كثيرًا.. بها تفاصيلها، رائحتها، شيء من ضياعها وكثير من حبها.. بها نكهة حزنها.. تذوقها من اللحظة الأولى ولكنه لم يفكر حتى أنها ربما تكون

هي، لقد رافقته أكثر من ثلاثة شهور وهي تعرف أنه (مجرد كاتب) لو كانت هي لأخبرته، بل هو يتناول تفاصيلها بدقة من آدم ذلك الذي نسي إخباره بأمر تافه كمتابعتها لمقالاته، لأنه لم يكن يعرف أن أحيانًا تلك التفاهات إن تعثرنا بها أوقعتنا إلى الهاوية..

- تنهد "هاشم" ألف مرة وهو يقرأ رسالة "ناريمان" أخيرًا عرف اسمها، الفضول المنطقي لدى الجميع جعله متشوقًا لمعرفة اسمها.. ولكنها حملت مع الاسم كثيرًا من الألم له، وحين باحت له باحت بكثير مما أثقل الحمل عليه..

غاب عن "حلم" ثلاثة أيام لأنه كان منهمكًا في قراءة رسالتها ألف مرة، من هي تلك التي تحمل رائحة حزن "حلم" ولها نفس نكهة فراقها.. من هي تلك التي اقتحمت غرفة أوجاعه دون إذن..

في اليوم الثالث.. قرر أن يكتب لها.. ربما تفهمه أيضًا مثل "حلم"، ربما تحمل بداخلها نفس القلب الذي كان يسمع صراخه دون أن يصرخ..

تلك القرارات التي نأخذها في لحظة وجع، حنين، اشتياق، فراق تعد ثاني كارثة تحل على صاحبها، بعد كارثة الحروب التي تحل على العوالم.. تلك القرارات التي نأخذها في لحظة ونندم عليها عمرًا.. نأخذها في لحظة وجع، لتحل علينا لعنة الوجع لآخر العمر.. وما قرره هاشم.. كان جرمًا يستحق أن يندم عليه عمرًا.. كان لابد أن يعرف أن الصدق ليس صالحًا دومًا، وأن قليلا من الكذب لا يضر..

*****

بقدر ما فاجئني اعترافك باسمك.. فاجأني اعترافك بكسرك، بضياعك، بحبك وبكثير من الخيبة، ذكرتيني بخيبتي الكبرى وضياع حب عمري، ذكرتيني بعمري الذي انسكب دفعة واحدة في حادث من ذاكرة أحدهم، ولم يعبأ الآخرون بجمعه، ربما لم يلحقه أحد.. حتى أنا أول من هربت، تركت كل شيء وهربت، تركت خمس سنين من عمري أودعتهم في ذاكرة أحدهم يحتضروا أمام عيني.. لم يكن جبنًا مني أبدًا، ضحيت بعمري من أجلها.. ويا ليتها تعلم..

لا تحسدي هويتي المجهولة، وقدرتي أن أصرخ بملء أوجاعي دون أن يعرفني أحد، دون أن أخشى أحد.. آه لو تعلمين أن وجعي الأكبر هو اختبائي في "مجرد كاتب" حتى عن أحدهم، أن أصرخ بملء وجعي دون صدر يضمني بحب، دون أن يربت أحدهم على كتفي ويخبرني بأن كل شيء سيكون بخير.. وجعي الأكبر أن أستتر عن أحدهم وأنا أعلم أنه ينبش الأرض بحثًا عني، أن أتخفي في ألف زيٍ وأحدهم يريدني بزيٍ خارج الألف ولن يراه مرة أخرى..

أنا الآن مجهول وأن تكوني مجهولة.. غريبة.. ذلك يعني أن عليك التمرن كثيرًا على البكاء وحدك، والفرح وحدك، وممارسة الحياة وحدك، وأن تسيري للنهاية وحدك.. وإن تعثرتِ فعليك أن تستندي على نفسك، وما أثقل فجيعتك لو في تلك اللحظة وجدتِ نفسك هشة جدًا، ضعيفة جدًا، ستسقطين حينها، ستغمضين عينيك وتسقطين بخنوع..

أن تكوني غريبة حتى عن أحدهم.. يعني أنك تشتاقيه وجدك، وتهاتفي

صمته حتى تملين من حديث فارغ حتى من الصمت، فتغلقين قلبك وتبكي.. تبكي بقوة تبكي لأن كل وسائل الاتصال لم تمكنك من الحصول على صوته خلسة دون أن تنقشع غيمة هروبك.. تبكي لأن كل الأموال التي جنيتيها عمرًا لن تكفي لتشتري لكِ رصيدًا لمكالمة واحدة لقلبه، ستدركين حينها أنك ليست مجهولة وحسب، بل أنتِ فقيرة أيضًا.. فقيرة جدًا..

وأنا إن شئتِ حقيقتي... فأنا كل ذلك يا عزيزتي.. أنا المجهول.. الغريب.. الفقير.. الفقير جدًا.. أنا كل هؤلاء وحدي!!

ولكني أريد أن أشعر بأني لست مجهولاً ولو لمرة أخيرة.. أني لن أموت وأنا غريبًا.. وأنا فقير جدًا، تعيس جدًا، وسأجعل هذه المرة معك.. سألقي حقيقتي بين يديك وأغيب..

أنا "هاشم".. "هاشم سليمان" طبيب العيون..

لم يدرك "هاشم" أنه باعترافه هذا أمسك بسيف الساموراي وقرر قتل "حلم" معه في نفس الطعنة، لم يكن يدرك أن قراره سيجعله أكثر تعاسة، لم يكن يدرك أن "حلم" تغيرت كثيرًا حتى إنه لم يعرفها من رسائلها إليه، لم يتعرف على نكهتها، لم يستطع أن يشتمها في رسالة واحدة من ضمن رسائلها..

السقوط بهدوء.. ما أجمله

هذا ما فعلته منذ دقائق حين تركت زمام الأمور كلها للسقوط من على سطح ذلك المركب، وأسكت جميع خلاياي وأشعلت في جسدي صوت لموسيقى (بيتهوفن) حتى يلين، يتخدر، يكره المقاومة، المقاومة لأي شيء.. فسقطت سقطت بكل هدوء، واستسلام وقناعة تامة بأني سأرتاح..

يبدو الآن الوضع هادئًا جدًا، أكثر مما توقعت، مستلقية على ظهري أنسى كل شيء، أمتنع عن التفكير في أي شيء، يحملني البحر بكل رضا لا أسمع منه تأففًا أو أشعر منه بنفاد صبر.. يحملني كما لو كان يود الهرب بي سريعا من شيء ما.. ما هو، لا أدري..

أذناي فقط هي من تخشى السماء فاستترت في أعماقه..

فوق البحر جسدي لا يشعر بأي شيء.. بأي أحد ولكن أذنيّ تسمع بوضوح تحت الماء كل شيء، هناك صوت يخت قادم من بعيد محركه يدور بسرعة.. هل هو قادم نحوي، هل سيراني ويحاول تغيير مساره في لحظة لإنقاذي.. هل أنا كبيرة لدرجة كافية ليراني؟ هل أنا مهمة

لدرجة كافية لينقذني؟ لا أعرف..

لن أقاوم ذلك الهدوء وأرفع رأسي لأرى اتجاهه، لست خائفة منه بالقدر الذي يكفيني لأن أهرب إن وجدته قادمًا نحوي..

صوت اليخت المعتاد بدأ يختفي أو ربما بدأت اعتاده فنسيته..

لا يهم..

صمت تام.. لا أفكر بشيء.. لون السماء أزرق بصورة تغريك على الموت لتصعد لزرقتها..

أذناي من جديد تسمع لصوت ولكن هذه المرة ليس بيخت أو صوت محرك.. إنه صوت أنفاس وذراعين ترتطم بالماء..

أتراه طفلا يغرق ويحاول مقاومة النهاية!!

هل سأتنازل عن مجرة اللاتفكير والهدوء التي اقتحمتها لتوي لأنقذه؟ لا أظن..

ولمَ أنقذه؟! لن يحيا حياة أجمل من حياته في الجنة على الأقل..

ولكن انتظام صوت ارتطام ذراعيه يدل على أنه شخص يسبح لا يغرق، أتراه شابًا.. أو امرأة أو رجلاً كبير.. على الأرجح هو شاب؛ عمر أنفاسه يدل على ذلك..

صوت أنفاسه تخبرني أنه يقترب، يا لخباثتها حتى أنفاسنا لم تستر عنا، كل شيء في هذا العالم ضدنا حتى نحن

obeikan.com

لن أرفع رأسي، لن أخبره بأن أنفاسه فضحته، لن أدعه يسقطها من نظره، لن أجعله يصدم في شيء ظنه يوما قريبًا قريبًا جدًا منه..

الصوت يختفي تدريجيًا.. ربما كانت وجهته بعيدة عني، ربما استلقى على ظهره مثلما فعلت أنا.. ربما

السماء زرقتها غير طبيعية، غير اعتيادية بالنسبة لعينيّ..

أغمضت عيني فترة.. استكان فيها كل شيء معي، شعرت حينها بأن الكون كله أطبق جفنه معي ليرتاح قليلاً من الضجر، من العبث، من كل شيء، من لا شيء..

سكت كل شيء..

فتحت عيني.. كم دقيقة مرت وأنا بعيدة عن الكون؛ غائبة عن الوعي.. لا أعرف..

السماء قريبة جدا هذه المرة من عيني، زرقتها ساطعة جدًا، عيناي تحاول التمسك بقوتها لكي تبقى مفتوحة أمامها قريبة جدًا وهجة هي كضوء الشمس ملاصقة لي أتراني مت؟! هل أنا مت؟! هل أنا في السماء الآن؟

لاح أمام عيني شيء أبيض يطير في السماء..

هل هذه طائرة وأنا مازلت هنا على الأرض؟

أم هذا ملاك وأنا فعلا مت؟!

ملاك!! أتراني هل أنا من الصالحين بدرجة تكفي لأن أرى الملائكة؟ هل كل الموتى يروون الملائكة،

لا أعرف لم تخبرني أمي عن هذا الأمر شيئًا من قبل..

ولكن.. أين قبري أولاً؟ هل صعدت السماء فورًا؟ هل أنا في برزخها؟ لمَ؟! هل أنا مت شهيدة؟ أيعقل أن تكون الدقائق التي أغلقت عيناي فيها غرقت ومت؟!!

السماء قريبة جدًا، سأحاول لمسها لأتأكد..

ذراعي ثقيلة جدًا هل هذا كسل أم أني ميتة فعلاً؟ أم أن التخدير الموسيقي الذي حقنت به خلاياي لم يختفِ أثره بعد!!!

غضبٌ يسري في جسدي، أشعر به، أريد أن أعرف أنا ميتة أم لا؟

أين صوت محرك اليخت، أين صوت ذراعي الشاب ليخبراني أني هنا مازلت على الأرض؟

قفزت في خاطري الآن درويشة لذلك الرائع "محمود درويش" حين قال:

.."لا شيء يثبت أنني ميت، لا شيء يثبت أنني حي"

هذا بالفعل ما أشعر به الآن..

أحاول رفع رأسي مرارًا لأرى أين أنا، ولكن رأسي ثقيل جدًا، مخدر تمامًا..

obeikan.com

لم أعد حتى أشعر بالبحر وهو يحملني، أين على الأقل رذاذ الماء الذي يتطاير على وجهي، وجهي جاف تمامًا أو بالأدق حلقي جاف تمامًا، خوف ربما.. نعم بالتأكيد أنا خائفة، لو تأكدت أنني مت سأموت موتة أخرى، ولكن هذا المرة ستكون رعبًا..

هل انتهت حياتي بهذا الشكل، بهذا الهدوء، بهذه البساطة؟!!

متى بدأت حياتي لتنتهي ومتى ولدت أنا لأموت؟!!

سأصرخ.. نعم سأصرخ الآن هذا هو الحل الوحيد، إذا سمعني أحد فأنا مازلت هنا على الأرض.. ولكن كيف يصرخ الناس لم أرفع صوتي على الأقل من قبل، صدقا تمنيت كثيرًا لو صرخت في وجه كل شيء يؤلمني ولكن ولا مرة فعلتها.. أتراجع كل مرة كل مرة..

ولكن هذه المرة تختلف، هذه المرة الشيء الذي يواجهني ليس مؤلمًا ولكنه مميتا، أنا أواجه الموت..

أصرخ في وجه الموت لتحميني الحياة منه.. لابد أن تحميني، أن تدافع عني، على الأقل تثبت انتمائي لها، تثبت نسبي لها..

ولكن .. محطمة أنا؛ خائبة الأمل، فاقدة الثقة في كل شيء حتى فيها، من الذي يضمن لي إن صرخت في وجه الموت؛ ستقف الحياة بجانبي؟ من؟! من؟!

لا أحد يجيب ولن يجيب أحد.. لن أبذل عناء جهد في الصراخ، سأتراجع هذه المرة ككل مرة..

قريبة جدًا ملاصقة لي، الماء بارد، لا أشعر بشيء ولا أسمع شيئا.. السماء

هل أنا ميتة أم أنني فقط في حالة سقوط؟

صِدقًا .. لا أعرف!

فاقت "حلم" من حلمها أو بالأدق من سقوطها على رنين هاتفها، الذي صادف صوت وصول رسالة جديدة إلى بريدها الإلكتروني، حيث تركت "اللاب توب" مفتوحًا..

فتحت عينيها لتحتار ثواني أتجيب على الهاتف أولاً، أم تفتح صندوق رسائلها.. نظرت إلى شاشة الهاتف لتجده "آدم".

ضغطت على الزر بملل:

- نعم يا "آدم"..

- صباح الخير.. السلام عليكم أي رد تفتتحين به حديثك حتى مع الغرباء؟

- لم أقصد، ولكني طلبت من والدتي ألا يزعجني أحد وألا تحاول الوصول لي بك.

- اتصلت فقط لأطمئن عليك، ما الأمر في ذلك؟

- لا شيء يا "آدم"، سأغلق الآن وأحادثك بعد قليل..

obeikan.com

- ولماذا ليس الآن؟

- لم أكد أفتح عيني يا "آدم"..

أجابت "حلم" بغضب فعلم "آدم" أن مزاجها ليس بالمناسب تمامًا ليجادلها في شيء، فأجاب لطلبها وأغلق الهاتف بعد أن أخبرها أنه ينتظر اتصالها بعد قليل.

أغلقت "حلم" مكالمتها مع "آدم" وبيدها الثانية كانت تفتح صندوق رسائلها.. لم تكن تدرك حينها أنها تفتح بابًا مغلقًا منذ عام، أن هذه الرسالة مفتاح لما تبحث عنه منذ الحادث، لم تكن تدرك أن بضغطة زر بسيطة تجد عمرها الذي فقدته، لم تكن تدرك أن رسالة بسيطة ستحكي لها كل ما أخفاه الجميع عنها.

قرأت "حلم" رسالة "هاشم" وهي تنعي حزنه وحزنها، تشعر بضياعه مثلها، من كانت تحسده على نعمة؛ تجده يرفضها.. كم هذا غريب؟!

وصلت إلى آخر سطر.. ووصلت معه إلى إجابة ألف سؤال سألتها لـ"آدم" ولنفسها وللفراغ الشاسع الذي تركه "هاشم"..

توقفت عند اسمه.. "هاشم سليمان" وكأنها تصاب بالحادث مرة أخرى، صدمها اسمه كما صدمتها سيارة النقل، ولكن هذه المرة تستعيد شيئًا من ذاكرتها، اليوم تسترد حقًا سُلب منها لأكثر من عام.

علقت بصرها على اسمه، وكأنها تعلق روحها في السماء الثامنة التي

لا وجود لها... "هاشم" رددت اسمه ألف مرة، وأغمضت عينيها ألف مرة وفتحتهما علّها تكون تحلم، متمنية أن يختفي اسمه ويظهر اسم "ياسين"، إذًا هي لا تحلم، هي مازالت في فراشها، كل شيء حولها كما هو.. هاتفها و"آدم"..

نعم " آدم".. رددت اسمه في ذهول، إنه الوحيد القادر على انتشالها من صدمة كهذه..

خطفت هاتفها من جانبها واتصلت بـ"آدم" ومع أول نفس له على الخط..

- ما اسم والد هاشم؟

- ماذا!؟!

- أجيبني!

- سليمان..

- هاشم سليمان.. طبيب العيون..

رددت اسمه بخيبة وأغلقت الهاتف وأغلقت معه كل الأبواب الكاذبة التي فتحت أمامها لأكثر من عام، كان كل باب يؤدي إلى سؤال بلا إجابة، ولكن هناك بابًا جديدًا فُتح يؤدي إلى سؤال جديد:

- هاشم هنا.. هاشم هو نفسه الكاتب، إذًا لماذا كان يهرب مني؟

تساءلت "حلم" وهي مازالت ساقطة في ذهولها، ثم شهقت حين

obeikan.com

تداركت الدور الثالث له.. "ياسين" وكأنها حين أخفت عن "ياسين" أنها تعرفه، أنها تلك الفتاة التي تراسله، أخفت عن نفسها أيضًا حتى نست..

- ياسين هو نفسه "هاشم".. أخيرًا أصبح لي وجه هاشم .. لماذا إذن كل ذلك؟

قامت من فراشها وكأنها جثة متحركة ولكنها بلا روح، خرجت حافية من الشاليه واتجهت إلى البحر..

لماذا! صرخت بها "حلم" تخاطب الفراغ الكبير الذي يشق الكون أمام بصرها..

لعنة الله عليّ لماذا.. أكثر الأدوات الاستفهامية التي لا إجابة لها.

يمكن لو أننا حاصرنا ذاكرتنا، وحاصرنا الآخرين لعرفنا "أين ، ومتى"؟

يمكن لو أننا صادقنا أنفسنا وسألناها بعطف لأجابتنا عن "كيف"؟

يمكن لو أننا نمتلك من الشجاعة ما يكفي لاستطعنا الرد على "هل"، وقطعنا استفهامها بنعم أو صدمناها بلا

ولكن تبقى "لماذا" سبيلنا الوحيد نحو العجز، الصمت، الشك، والمجهول، تبقى "لماذا" صورة خيبتنا وملامحنا الضائعة، ويبقى اللاجواب هو الطريق الذي تشير إليه كل الاتجاهات التي تخرج من

opeikan.com

عندها..

"هاشم" هنا .. حي .. في مصر.. بل بجوارها ومعها لحظة بلحظة، هي من تركته في "مرسى علم"، بل هي التي رفضت أن تكمل معه.. هي التي ابتعدت.. رحلت.. غابت عنه، لماذا؟

"هاشم" يا أكبر الخيبات وأوجعها، يا أحلى الذكريات وأثقلها.. يا موتي..

- صندوق بريدي! .. الغرفة السرية التي بيننا.. أقصد الكذبة السخيفة التي بيننا.. هي نافذتي على كل تساؤلاتي..

قالتها "حلم" بحزم متجهة إلى الشاليه مرة أخرى.

فتحت صندوق بريدها، أتت بنافذة الرسائل التي بينهما وكتبت:

"هاشم" يبدو أن الفراق باعد بيننا أكثر من اللازم، فما شعرت بي ولا أنا شعرت بك.. ثمة خيبات تطل علينا من نافذة الوقت تثبت لنا أننا ما عدنا نحمل نفس النكهة والرائحة التي اعتادها علينا من نحب، حينها يصاب القلب بخيبة أخرى.. أحقًا تغيرنا؟!

لمَ رحلت عني نكهتي كما رحلت عني ذاكرتي!! أهل فقدتها هي الأخرى في الحادث؟ أم فقدتها بفقدك!! أم فقدتها حينما فقدتني أنت؟

هل حقًا فقدتني يا هاشم.. هل حقًا فقدتك؟ هل حقًا تشابهت القلوب علينا فما استطعنا تمييز بعضنا!

obeikan.com

هاشم.. ياسين.. مجرد كاتب.. جميعكم استغليتم أني بلا ماضٍ، وأسقطوني في حاضركم.. جميعكم بعثم بي إلى الجحيم، وما أشفق عليّ أي منكم.

كيف خنا ماضينا وذكرياتنا يا "هاشم"، كيف هان علينا الفراق بهذا الشكل، وكيف نسينا نكهاتنا إلى هذا الحد؟!! كيف؟

أكرهك.. وأكره أني أصبحت ولو للحظة دمية بين يديك.. لمَ فعلت هذا بي؟ يا ليتك رحلت.. يا ليت.

*****

لو كان "هاشم" يدرك أن اعترافه سيجر أسراره إلى يدي "حلم"؛ ما تخلى عن كذبته مهما حدث ولكنه كان يظن بأن الدنيا أكبر قليلاً من حجم كفه.. الآن يشعر أن كل شيء أنفرط من بين يديه.. عامًا يحاول فيه قتل "هاشم" واليوم هو قتل "حلم".. قرأ الرسالة ألف مرة، علّه أخطأ، ولكن.. هذا الوجع وجع حلم، وهذه الخيبة خيبتها... خيبتها.. أكان "هاشم" في نهاية الطريق هو خيبة حلم!!

الآن .. كيف ينكر هاشميته، أيرد على رسالتها أم يغيب؟ غياب!! غياب آخر يا "هاشم"، وكأنك خلقت في حياة "حلم" لتغيب.. لتكون دومًا الغائب الحاضر.. لتكون دومًا خيبتها..

كانت "حلم" مازالت أمام حاسوبها تتساقط دموعها دون وعي، ولكنها فجأة صرخت.. وكأنها تنفض كل أوجاعها التي انقضت عليها دفعة

واحدة.. صرخت لتتحرر.. صرخت لتشفى.. ويا ليتها تشفى..

أفاقها صوت الباب.. أحد هنا... كفكفت دموعها واتجهت ناحية الباب ودون أن تفتحه سألت:

- مين؟

- أنا طنط أماني..

حاولت "حلم" أن تتذكر اسمها ولكنها فشلت، ففتحت الباب..

نظرت لتراها امرأة في عمر الأربعين ترتدي فستانا فيروزي لها شعر أسود وعينان سوداوان وبشرة بيضاء قليلاً..

نظرت لها "حلم" مستنكرة منها تحاول أن تتذكر إن كانت تعرفها أم لا ثم وفرت مجهودها..

متأسفة يا طنط أنا أصبت بحادث أفقدني الذاكرة.. -

- لا تقولي هذا.. أعرف ما حدث يا حبيبتي.. لا يهم أنا جارتك في الشاليه المجاور لكِ وسمعت صرختك فجريت لأرى ماذا بك؟

- لا شيء فقط أردت التخفيف عن نفسي بعد كل ما حدث..

- أتيتي وحدك؟

- نعم وحدي أردت قضاء يومين وحدي بعيدًا عن أحد.

- إذًا فلنتناول الشاي معًا.. تفضلي..

obeikan.com

دخلت "حلم" شاليه جارتهم فرأت في ركن قصي من الصالة صناديق كثيرة وكأنها جمعت أمتعتها لتهم بالرحيل.

- تنوين مغادرة المكان قريبًا... بادرتها "حلم" بسؤالها وهي قادمة نحوها بالشاي والكيك، فابتسمت لها جارتها وقالت بضيق:

- بل والدتك هي من تنوي الرحيل، من الواضح أنها تريد بيع الشاليه قريبًا لأنها أتت من فترة وجمعت كل هذه الأشياء في صناديق وأبقتها لدي حتى تجد فرصة لتأتي وتأخذها..

- إذًا هذه أغراضنا، هل لي أن أعبث بها قليلاً؟

- طبعًا يا حبيبتي..

توجهت "حلم" نحو الصناديق وهي ممسكة بيدها فنجان الشاي، جلست على أرضية الصالة الخشبية وأخذت تفتش في الأوراق القديمة والصور وبعض التحف ثم وجدت صندوقًا خشبيا فتحته لتجد مجموعة من الصور، أسندت ظهرها على الحائط وتناولت الصندوق لتمر بذاكرتها على الصور..

ولكن لم تمر ذاكرتها على الصور مرور الكرام، ولن يجد القدر فرصة أنسب من هذه ليسخر من "حلم" للمرة الثانية، وقعت عين "حلم" على صورة تضمها هي و"آدم" و"هاشم"..

تركت "حلم" فنجان الشاي من يدها وانتفض جسدها، نادت على

السيدة بصوت متقطع وصرخة مكتومة:

- نعم يا "حلم"..

- أهذا الرجل كان يأتي هنا معنا؟ سألتها "حلم" وهي تشير بأصبعها نحو "هاشم".

- هاشم..

- نعم.

- جاء مرة واحدة بعد خطبتكما بأسبوع وهذه الصورة التقطت حينها.

- "هاشم" كان خطيبي؟

- أين "هاشم" يا حلم؟ سألتها مستنكرة!

الآن تدرك أن الكذبة التي رسمها "هاشم" أكبر من أن يستوعبها عقلها..

أجابت بكل تلقائية وهي مازالت مندهشة من كلام السيدة:

- سافر.

- يا حبيبي.. بالتأكيد سافر ليحضر أحد المؤتمرات الطبية الأخرى الخاصة بجراحة العيون التي أقيمت لتكريم الأطباء الشباب من مصر بعد إجرائهم لبعض العمليات المتطورة والناجحة

غابت حلم عن صوت السيدة، كانت تعود بذاكرتها إلى ما وراء الحادث.

obeikan.com

- "هاشم" كان طبيبًا؟ مؤتمر؟ تقترب من ذاكرتي أحداث كهذه.. أيمكنك أن تقصي عليّ أكثر، ماذا تقصدين بمؤتمرات أخرى؟!

- أقصد غير ذلك المؤتمر مثلاً الذي أقيم في القاهرة منذ أكثر من سنة أيضًا لأطباء جراحة العيون، وجميعكم ذهبتم للحضور معه وكنت بجانبه بذلك الفستان الأحمر الذي اشتريته خصيصًا لتلك المناسبة.

قدمت لها هذه السيدة الحادثة على طبق من ذهب، المؤتمر والفستان الأحمر والصور، بل قدمت لها الذاكرة على طبق من ذهب..

- هل كنتِ في المؤتمر معنا، أقصد هل تملكين تفاصيل أخرى عن ذلك اليوم..

- لا لم أحضره ولكني احتفظت بالمجلة التي كتبت عن اليوم.

- أيمكنكِ أن تأتيني بها حالاً.

أتت بها وفتحت الصفحة.

التقطت "حلم" الصحيفة كالأم التي تلتقط طفلها الضائع في حضنها..

شهقت "حلم" ورجعت للوراء فجأة واصطدمت بالحائط، تقرأ كل حرف عن اليوم وكأنها أعطت لذاكرتها إناء من الماء لتروي ظمأها بعد سنة من العطش، كانت ذاكرتها تستعيد نشاطها مرة أخرى وكأن الحياة دبت فيها مجددًا، وكأن دورتها الذاكرية أعادت عملها من جديد.

- يا إلهي "ياسين"!! "هاشم".. نعم والحادث.. وسيارة النقل..

افترقنا هنا على بوابة المؤتمر.. افترقنا لنعود سويًا في الصباح التالي لا لنفترق إلى الأبد..

ثم وقعت المجلة من يدها ووقعت "حلم" على الأرض فاصطدم رأسها بقوة في حافة المنضدة الخشبية..

- "حلم".

في غضون دقائق كانت "حلم" في المستشفى يفحصها الأطباء وأخبرتهم "أماني" بكل ما حدث، وعن حالتها الصحية ثم اتصلت بأهلها..

بعد ما أعطوها العلاج اللازم أتى أهلها ونقلوها فورًا للقاهرة لتكون في المستشفى المتابع لحالتها.

*****

obeikan.com

لن تنتهي

- الصدمة التي واجهتها "حلم" بسرد تفاصيل كل الأحداث التي سبقت الحادثة؛ ربط اسم "هاشم" بوجهه وربطه مع الحادثة ومن بعدها اصطدامها بالمنضدة... حادثة أعادت لها القدرة على تذكر أشياء كثيرة بشكل سريع..

كلمات نطق بها الطبيب بقدر ما أسعدت أهلها و"آدم" ولكنها نقلت "آدم" للتفكير في شيء آخر؛ هي الآن تتذكر كل شيء حتى وجه "هاشم" وعرفت أن "ياسين" هو نفسه "هاشم".. ما الحل إذًا؟

قاطع تساؤلاته وتفكيره صوت والدتها وهي تناديه ليدخل لـ "حلم".

دخل لها وجدها في حالة هستيرية من البكاء اقترب منها..

- " آدم" فهمني.. من "ياسين" يا "آدم" هو نفسه "هاشم" أليس كذلك؟ لماذا يختفي "هاشم" ويظهر من جديد في ثوب رجل آخر؟ "آدم" أين "هاشم" أنا أتذكر أنه جاء معي للمستشفى لحظة الحادث.. نعم أتذكر وأتذكر المؤتمر نحن افترقنا لحظة خروجنا منه لأعود لمنزلي بالسيارة، وليعود هو لعمله و ... ثم سقطت في بكائها..

obeikan.com

تساقطت دموع "آدم" رغمًا عنه لم يستطع أن يتمالك نفسه وهو يرى حالتها وهي تتحدث كالمجنونة التي فقدت علقها ولا تستطيع السيطرة عليه..

"هاشم" كان سيسافر بالفعل لعمله ولكنه تأجل فقرر أن يكمل تسليته بك ولكن بوجه جديد حتى يأتي ميعاد سفره و ...

قاطعته "حلم" بلطمة على وجهه لم تشعر كيف مدت يدها عليه؟!

- كف عن تشويه صورة "هاشم" وانتهاك رجولته بهذه الطريقة.. أنا أريد الحقيقة ولكن لن أسمعها منك .. سأعرفها بنفسي.

ثم نهضت من فراشها ونفضت كل الحقن التي سكنت ذراعها..

- أين تذهبين يا "حلم"؟

- الآن أنا أتذكر كل شيء.. شكرًا لا أحتاج لمساعدتك..

خرجت "حلم" من غرفتها واتجهت لغرفة التمريض وطلبت من الممرضة إحضار جميع الممرضات في المستشفى وفي غضون دقائق..

تجمّع أمامها صف ضخم من الممرضات نظرت لجميعهن.

- من يتذكرني.. من كان مع الأطباء الذين تولوا حادثتي حين أتيت لهنا؟

تقدمت لها أربع ممرضات.. أمرت الباقي بالانصراف ثم جلست أمام الأربع.

openkan.com

- حين أتيت جاء معي خطيبي.

قاطعتها إحداهن

-- نعم الدكتور "هاشم سليمان"..

- ممتاز، هو "هاشم سليمان".. ماذا حدث بعدها؟

- دخلنا جميعًا معك غرفة العمليات ثم احتجتي متبرعًا للدم.. خرجت أنا وقمت بإجراء تحليل الفصيلة لجميع من كان موجودا والدكتور "هاشم" هو من كان نفس فصيلتك..

- ممتاز وماذا حدث بعدها؟

- أخذت منه عينة لتحليلها لاكتشاف مدى درجة تطابقها معك فعرفت أنه نفس فصيلتك، فعرضت النتيجة على الطبيب ولكن بعدها رفض أن يتبرع الأستاذ "هاشم" لك بالدم وأتينا بمتبرع آخر من خارج المستشفى..

سكتت "حلم" حائرة من السبب الذي منع "هاشم" أن يتبرع لها بالدم.. ثم أكملت وهي شاردة في حيرتها..

- من الطبيب الذي عاين التحليل الخاص بـ"هاشم"؟

- الدكتور "حمدي خليل"..

- أوصليني له..

obeikan.com

قابلها "آدم" في طريقها للدكتور فتوقف سيرها..

- أين ستذهبين يا "حلم"؟

- عرفت كل شيء.. لم يعد هناك مجالاً للكذب يا "آدم".

-- "حلم"، "هاشم" من قرر الرحيل هو من تخلى عن حبكما بعد أن علم أنه مصاب بسرطان الدم واخترع قصة السفر و .....

لم يكمل حتى وجد "حلم" تشهق بصرخة تجمع لها كل من في المستشفى..

-- من مصاب بسرطان الدم؟

-- ألم تقولي أنك عرفت كل شيء..!! ما الذي عرفتيه إذًا؟

ردت مكانها الممرضة التي حكت لها:

- أنا أخبرتها فقط بأنني أجريت له تحليل الدم ومن بعده قرر الطبيب ألا يتبرع لها الدكتور "هاشم" بدمه.. شعر "آدم" لحظتها أنه فضح كل شيء، رغم أنها لم تكن تعرف شيئًا، ورغم ما حاول "هاشم" إبقاءه سرًا.

نظر لـ"حلم" ليجدها تضحك ضحكا هستيريا وتتعالى ضحكاتها لسقف المستشفى

-- "حلم" أنتي بخير..

obeikan.com

- نعم أنا بخير... ولكن أعد عليّ ذلك المزاح الذي قلته منذ قليل..

- "حلم".. أنا .. "هاشم" أقصد أنه لن... سكت "آدم" وماذا يقول في لحظة كهذه واقترب منها ليحتضنها..

- ابتعد .. ثم وقعت على الأرض وأخذت تصرخ بدون انقطاع وفي لحظة سكوت منها ظن فيها "آدم" أنها فاقت من ثورتها..

ولكنها كانت ثورة من نوع آخر..

جرت نحو باب المستشفى، لحق بها "آدم" ولكنها كانت أسرع منه فقد خرجت وأخذت تاكسي .. بقيت بداخل التاكسي قرابة عشر دقائق تتذكر عنوان هاشم حتى أملته للسائق.. لحق بها "آدم" بسيارته.. دقائق ووجدها تتوقف عند بيت "هاشم"..

صعدت إلى شقته وأخذت تطرق الباب بجنون وهي تصرخ باسمه حتى فتحت لها والدته.. دفعتها "حلم"، ثم اتجهت لغرفته وفتحتها وجدتها مظلمة أضاءتها وارتمت على سريره.

- "هاشم" أين أنت؟ خرجت لتعيد السؤال على والدته!

- أين "هاشم"؟ أخبريني..

- في مستشفى الأورام منذ فترة كبيرة..

- "ياسين"؟.. لهذا لم يرد إخباري بعنوانه حتى لا أحضر له الورد.. أخبريني بأي مستشفى هو؟

openkan.com

أعطتها والدته اسم المستشفى خرجت من الشقة لتجد "آدم" في انتظارها..

- أوصلني له.. وقبل أن يجيبها صرخت في وجهه..

- أوصلني له..

- حسنا..

انطلقا بالسيارة ووصلت للمستشفى سألت عن غرفته ووصلت لها ولكن ما إن وقفت أمام باب الغرفة بدلا أن تقتحمها وقعت على الأرض..

- هاشم؟ أعلم أنك بالداخل وتسمعني، ألن تتركني أليس كذلك؟ لم تستطع أن تتركني شهورًا فجئت لي بوجه جديد.. فكيف تقوى على تركي سنينًا طوال؟

هاشم كيف أحيا بعدك.. أنا رفضت "ياسين" لأجلك حتى بعد أن خذلتني ورحلت.. أنت رحلت أمام الناس وأمام نفسك ولكنك لم ترحل مني يا "هاشم"؟

"هاشم" أنت وطن أسكنه وعشق يسكنني ويستوطني.. أخبرني كيف أهجر وطني يا "هاشم"؟ أخبرني كيف أنتزعك من داخلي؟

كنت صغيرة وكبرت بين يديك وكنت طفلة ونضجت معك...

كنت أرضًا خاوية وأنت رويتها وزرعتها.. من يحصدني غيرك يا "هاشم".. أنا ملكك أنت ولست ملكًا لرجلٍ سواك!

obeikan.com

"هاشم" أنا تذكرت كل شيء، تذكرت خطبتنا ودبلتي وهي تحتضن اسمك.. تذكرت حلم زواجنا وتلك الأحلام التي بنيناها والخطط التي رسمناها لينجح ذلك المشروع للأبد.. أتذكر الفستان الأبيض الذي طالما حلمت أن أراقصك به ليلة احتضانك لي لأول مرة أمام الجميع.. أتذكر خمس سنوات وأنا أنتظر فيها أن أحمل اسمك خلف اسمي زوجي وأبي وحبي وابني!!

ابني يا هاشم الذي لم ولن ألد سواه..

أحست فجأة بصوت بكاء من الداخل حاولت فتح الباب ولكنها علمت أنه يجلس على الأرض خلف الباب مثلها من الداخل.

- افتح لي يا "هاشم".. أجعلني أرتمي في حضنك، أقبّل قدميك اعتذر لك عن روايتي.. ولكن يا ليتك خذلتني فعلاً ورحلت وسافرت، يا ليتك لم تكن رجلاً وكنت تتسلى بي وانتهيت مني وذهبت لتبحث عن حب جديد.. افتح لي أحميك من ألمك..

- لن أقبل أن تدخلي هذه الغرفة ولو حتى زائرة... لن تدخلي غرفة هذا المرض أبدا يا "حلم"!

-- زائرة؟ زائرة يا "هاشم"!! أنت ابني.. أنت ابني أتسمعني، "هاشم" سامحني على كل لحظة ظننت فيها أنك خذلتني ورحلت...

- بالله عليك كفاك هذا، فعلت كل ما فعلته؛ حتى لا أعرضك لمثل هذه اللحظات وإحساس الوداع..

- لا تقل وداعًا يا "هاشم" لا تقل وداعًا.. أنسيت حين قلت لك حين يأتيك الموت سأتشبث في ثوبه ليأخذني معك؟

أنت الحياة يا "هاشم" تمسكت بك رغم أنك خذلتني ورحلت وتخليت عني وبعت حبي.. أريدك أن تتخيل ما أفعله الآن بعد ما وجدت أن رحيلك كان لمستشفى السرطان، وأنك بعت الحب لتشتري سعادتي للنهاية... ولكن حسبتها خطأ يا حبيب العمر..

ليس ببعد المسافات أنساك يا "هاشم"، ولا بالرحيل أنساك ولا بالخذلان أرد لك الخذلان، لا يوجد شيء ستفعله أنساك به أو أكرهك أو يقلل من حبك في قلبي ذرة واحدة..

أتتذكر كلماتي..

الحب الذي يستعمر القلب للأبد.. يستحق أن نفي له طوال حياتنا..

الحب الذي لا يستطيع العقل هزيمته.. يستحق أن ينتصر ويبقى للنهاية..

- ولكن عليكِ هزيمته يا "حلم" وهزيمة "هاشم" بداخلك.. ثم أطلق بعدها تنهيدة أشبه بالصراخ جاءه الطبيب والممرضات وفتحوا الباب وأرجعوه إلى سريره، ووضعوا في يده كل الأجهزة من جديد..

دخلت "حلم" وهي تجر قدميها جرًا.. هنا كان يبيت "هاشم" كل ليلة

opeikan.com

منذ الحادث وهي تتوقعه في حضن امرأة أخرى، وهو هنا في حضن المرض!

هنا كان يستيقظ ليجد الأجهزة والأدوية والألم يستقبلون صباحه وهي تعتقد أنه يستيقظ في فراش لتستقبله امرأة أخرى بصينية الإفطار وعليها وردة حمراء، تريد الآن أن تقاد هي وليس هو إلى محاكمة عاطفية لارتكابها جريمة عدم الشعور به، كيف غفلت عنه كل هذه المدة، أين حاسة الحب التي تدرك الحبيب دون كلام؟ أين ثقتها به وبحبه، كيف شكت فيه لحظة؟ الشك في الحب هو إقرار رسمي بانتهاء الحب!

هنا قرر هاشم أن يهرب، أن يخذلها، أن يرحل عنها.. كادت ان تتقدم خطوة حتى اصطدمت عيناها بعينيه..

أن يموت عزيز عليك أهون ألف مرة من أن ترى الموت في عينيه، الآن سقط الشعور بكل شيء، وفزع الشعور بالفقد وفقط.. الفقد الأبدي.. الموت هو الفقد الوحيد الذي يمكنك البكاء عليه دون أن تهدر كرامتك أمام ذلك الغياب الطويل.

كيف يمكن أن نكون بجانب من نحب في موته الأخير، كيف نصدق موتهم بهذه البساطة، بل كيف يموت من هم قطعة من القلب بهذه البساطة، يعبروننا كأننا لم نكن، كيف يمكننا الصمود أمام صفعة كهذه، كيف يمكننا الإيمان بها!!

openkan.com

ثمة ميتة نرى فيها نهاية لأحدهم، وأخرى نرى فيها موتنا نحن، عندما يموت من تقاسمنا ذاكرتنا معه..

عندما يموت من نسجنا معه أحلامنا بتفاصيلها الصغيرة قبل الكبيرة نموت نحن!

عندما يموت من ظنناه أبديًا.. نموت نحن.. نموت من هول الفاجعة.. نموت لأن الحياة بعده لا تستحق أن نمارسها، بالأدق ما عليها شيء بعده يستحق الحياة.

تقدمت إليه بعد أن هدأ وجلست بجواره على السرير، تأملت خصلات شعره السوداء وهي تداعب وجنته وكأنها تمسح عنها آلامه، مازال جميلاً في مرضه كما في صحته، بداخلها وأمامها، في غيابه وحضوره يظل جميلاً.. مدت يدها لتمسح على رأسه، ربما تود أن تعتذر له أصابعها بالنيابة عنها، ربما لا تستطيع أن تسامح نفسها، ترقرقت دمعة من عينيها، حتى انصرف الأطباء فمالت عليه:

- لمَ فعلت كل هذا؟ لا أصدق أنك تتخيل أني سأكرهك حين ترحل عني دون وداع.. أني أنساك وأعوض روحي عن نصفها بشخص آخر وإن حاولت... من تعتقد يا "هاشم" إنه يستطيع أن يحل مكانك؟

- حين تقدمت للتبرع لك بالدم عرفت أني مصاب بسرطان الدم في بدايته.. ولكني أعرف أن هذا المرض سواء في بدايته أو نهايته فلا يطول في زيارته معنا حتى يأخذنا معه ويرحل.. أخذت الدبلة من يدك

وأخذت حاسوبك ومسحت كل صوري ومسحت كل الرسائل التي بيننا واختفيت من عندك وذهبت لغرفتك وفتشت عن أي شيء خاص بي وأخذته..

- ولكنك نسيت أن تأخذك مني، أن تحذف كل الرسائل التي في قلبي منك وما استطاع الحادث محوها.. ولكن "آدم" أكان على علم بهذا؟

- اتفقت مع أهلك و"آدم" ألا أحد يأتي بسيرتي إلا أنني رحلت دون سبب، ولم أظهر منذ الحادث وشعرت بأن ما تمنيته حدث حين أصدرتِ روايتك الأولى ولكني شعرت بالذنب والغضب ليس منك

ولكن مني أنا.. شعرت بأن برحيلي حولتك لوحش وحولت ذلك القلب الملائكي لشيطان يريد أن يحرق الكون، وأني قتلت بيدي ذلك الطفل البريء الذي سكنك وأحببته طوال عمري.

عدت من جديد لأعيد كل ما دمرته حيًا جميلا مرة أخرى ولأنسيك "هاشم".. كنت أعرف أنه لن يقو على إخراج "هاشم" من داخلك سوى "هاشم" نفسه..

ولكن حين أخبرتِ "ياسين" ليلة عيد الميلاد كل شيء عن "هاشم" عرفت وكأني أفرغ البحر بملعقة صغيرة.. وأني احتاج لعمر فوق عمري لأنسيك "هاشم"، وليس بضعة شهور تلك التي تبقت لي..

حينها انسحبت بعد ما علمت أن وجودي لن يغير شيئًا واطمأننت أن الوجه الشيطاني الذي كتب الرواية مازال وجهًا خارجيًا فقط لم

يستطع أن ينتهك براءتك وطفولتك وجمالك وقلبك الطاهر!

- "هاشم" كيف تخيلت بعد كل هذا الحب أن هناك قوة في العالم حتى لو "هاشم" نفسه تستطيع تغييري تجاه حبك.. لا أصدق أنك لم تؤمن بحبي لك مثلما آمنت أنا بك وبحبك حتى بعد رحيلك عني

- توقعت أن الخذلان أمر مؤلم وأن كرامتك ستهدم كل معابد الحب التي بنيتها بداخلك لي..

- الكرامة تهدم معابد الحب للحبيب ولكن ليس للابن والصديق والأب.. هل سمعت عن كرامة بين أم وابنها أو أم تخلت عن ابنها لأنه جرح كرامتها، أو أنها أخرجت حبه من قلبها لأنه كسر بخاطرها ورحل بعيدًا عنها؟ هل سمعت عن ابنة كرهت أباها لأنه جرح كرامتها؟!

أنت كل أولئك عندي يا "هاشم".. إن استطاعت كرامتي هدم معابد حبي لك كحبيبي فلن تستطيع هدم معابد حبي لابني وأبي وصديقي وسر سعادتي وروحي..

هنا توقفت عن كلامها وأجهشت في البكاء وكأنها تصرخ من الألم ومالت على يديه تقبلها وتحتضنها - عدني بأنك لن تتركني يا "هاشم" .. عدني بأن تراقصني بالبذلة السوداء وأنا عروس في زفافنا كما حلمنا سويًا.. عدني بأن تغنيني عن وسادتي بصدرك حتى أنام.. عدني بأن أكون زوجتك ملكك أنت ولا أحد سواك.. بأن تحقق لي ما تمنيت؛ أن أرتمي في حضنك وأبكي.. أن أشتم أنفاس صدرك حين

تضمني إليك.. أيرضيك أن أنهزم في النهاية في لعبة (الريست) مع القدر.. أثبت له يا "هاشم" أنك تحبني وأن حبك لي أقوى منه...

- إن كنتِ تؤمنين بي حقًا لا تنتظري أن أثبت لك شيئًا ولا تنتظري مني أن أفي بوعودي.. كنت أريد أن أحققها لك جميعًا أقسم بحبي لك، ولكن الآن رغمًا عني أصبح مستحيلا..

مدت يدها لتضعها على فمه..

- لا تقل مستحيل يا "هاشم" ألن تتزوجني؟!!

- "حلم" أريدك أن تعديني بشيء؟

- أعدك أن أموت خلفك إن تركتني..

- إن فعلتي ذلك تكونين حقا قتلتي "هاشم".. أنا أريدك أن تعديني أن تنهي الرواية قبل أن أرحل عنك وتكمليها كما كنت مخططة لها، ولا تغيري فيها أمرًا ولا حتى نهايتها؟

- الرواية بالفعل تنتهي يا "هاشم"، وأقسم لك كنت فيها قد استسلمت لقلبي فأخرجت البطل ملاكًا.. وكأنه كان يشعر أنك لم تخذلني أبدًا ولم تتخلى عني كان ينقصني فقط الإهداء والآن سأضعه بكل شجاعة..

- أريد أن أقرأها..

- الآن يأتي طلبي منك..

- اطلبي مني أي شيء حتى روحي..

obeikan.com

- روحك بالفعل تسكنني يا هاشم منذ أن أحببتك وأسميتك وطني، ولكني الليلة أريد أن أنام في حضنك وعلى هذا الفراش..

اندهش "هاشم" لطلبها ولكنه وضع وجهها بين كفيه..

- حبيبتي لا أريدك أن تنامي على هذا الفراش .. فمن ينام عليه..

قاطعته حين وضعت يدها على فمه مرة أخرى..

- لا تكمل.. حتى وإن كان قدر كل من ينام على هذا الفراش الموت فأتمنى أن أنام عليه الليلة حتى أسبقك إلى الموت يا "هاشم"، فلن أعيش يومًا واحدًا بعدك..

- "حلم" لا تقتليني بالله عليك بكلامك..

- حقق لي طلبي إذن..

شعر "هاشم" أنه يحتاج لطلبها أكثر منها فهو يحتاج لأن يضمها حقًا، أن يشم أنفاسها قريبة منه، أن يسكن بجوارها ولو ليلة..

امسك بيدها وجذبها بجواره في الفراش.. أبعد رأسه لتنام على الوسادة..

- لا.. أنا أريدك أن تغنيني عن هذه بصدرك.. الليلة يا "هاشم" أنت لي وأنا لك والقدر لن يستطيع أن يحول بيننا..

أبعد ذراعيه وضمها إليه وسكنت برأسها على صدره وأحست دقات

obeikan.com

قلبه.. اقترب منها ليشم أنفاسها لينصهر بداخلها وتذوب بداخله..

- "هاشم".. أريد الآن أن تحقق لي ما حلمنا به سويًا بعد زواجنا.

- حلمنا بأشياء كثيرة.. أي حلم فيهم!

شعرت بالوجع حين تذكرت كم الأحلام التي حلماها سويًا لزواجهما ولكنها قاطعت شرودها حتى لا تبتعد عنه ولو لحظة..

- أن تحكي لي حدوتة.. هيا يا "هاشم".. أحكي لي حدوتة..

شعرت بالوجع ثانيةً.. لماذا تتعامل معه وكأنه سيرحل فعلاً؟ كيف تسمح لعقلها أن يقبل فكرة كهذه ولكن قلبها وطلباته وشعوره نحوه كل شيء بداخلها يشعر وكأنها تعيش الليالي الأخيرة معه.. قاطع وجعها بمزاحه.

- أتكبرين أم تصغرين أيتها المدللة..

- أتسخر مني.. أرأيت من أول طلب تظهر على حقيقتك.. إذن كل أحلامك معي كانت ليست صادقة من داخلك، وكنت توافق عليها لترضيني فقط يا "سي السيد"..

- منذ أن علمت بمرضي لم أتألم ولم أكره الموت إلا لشيء واحد.. أني كنت أريد أن أكمل معك الحياة وأتزوجك لأثبت لكي أن كل شيء وعدتك إياه سأفي به وأكثر منه أيضًا..

سقطت دمعة من عينيها على صدره وضمت نفسها أكثر لصدره

obeikan.com

لتتلاصق به..

- لن تضطر لتفعل الشيء لأصدقك يا "هاشم" فأنت كل حرف تعد به أو تقوله اعتبرك فعلته تمامًا

ألم أقل لك أني آمنت بك وبحبك يا "هاشم" هذه مرحلة تفوق الحب والعشق بكثير..

نامت على صدره ونام هو في حضنها بعد أن قبل رأسها.

*****

استيقظت "حلم" في الصباح مبكرًا قبله وقبلته في جبينه وذهبت إلى بيتها أتت بالرواية وأضافت لها خاتمة بسيطة وكتبت الإهداء ثم عادت إلى المستشفى.. أحضرت له الإفطار ووضعته في الصينية ومعه وردة حمراء..

وفتحت الباب وجدته يفتح عينيه يداعبه النوم ولكنه يقاومه..

- صباح الخير يا أجمل حب في حياتي..

- صباح الخير يا صغيرتي..

- أعشق سماعها منك ولن أسمح لأحد غيرك أن يداعبني بها.. هيا إلى الإفطار..

روت له عندما تخيلته أنه سافر ويستيقظ في الفراش وهناك امرأة تأتيه بصينية الإفطار وبها وردة حمراء فأراد أن يداعبها..

opeikan.com

ضحك ضحكة عالية فاستفز مشاعرها..

- أتسخر مني ومن غيرتي عليك.. حسنا ستفطر وحدك..

أمسك بيدها وقبلها.

- انتظري... أنا أعشق غيرتك هذا كل ما في الأمر.

- وأنا أعشق مصالحتك لي.. هيا للإفطار وبعدها تقرأ الرواية.

- حقا أنهيتيها؟!

- وكيف تطلب مني طلبًا ولا أنفذه يا "سي السيد".

- من يرى تلك الكاتبة أمام الجميع لا يتوقع أبدًا أن يكون لها "سي السيد" يومًا!

- لأن لا أحد يتوقع أن يكون هناك رجل مثلك يستحق مني لقب "سي السيد".

- كيف أهرب منك يا حضرة الكاتبة؟!

- بالإفطار يا حضرة الكاتب.

أفطرته بيدها وناولته العصير ثم أعطته الرواية وتركته لتحادث "آدم" حتى يأتي

تسلم "هاشم" الرواية ليصطدم باسمها ..(قد نلتقي).. أعجبه الاسم وفهم منه أنها لم تسلم لفراقهما يومًا.. فتح أولى صفحات الرواية

obeikan.com

ليصطدم مرة أخرى بالإهداء

(إلى معبد الحب الذي بُني بداخلي ولن يُهدم

إلى فنار الحب الذي يهديني للسعادة ولن يضلني يومًا

إلى من سكنت بداخله وسكنني عمرًا

إلى وطني

إلى

حبيبي).

لم يصدق "هاشم" عينيه وحاول إعادة قراءة الإهداء أكثر من مرة.. أتقصده هو بوطنها.. كيف جنت لتؤمن به لهذا الحد حتى تكاتبه إهداءً كهذا وهي تعلم أنه لن يبقى..

قلب الصفحة وعانق باقي صفحات الرواية لينهيها بعد وقت ليس بالكثير، بعد أن بكى كثيرًا وكثيرًا بين أحضانها كلما ذكرت عنه ذكرى جمعت بينهما يومًا.. في هذه الرواية جسدت فيها "هاشم" الحقيقي.. وأنهتها نهاية سعيدة بلقاء بين الحبيب والحبيبة..

تمنى "هاشم" لو تكون النهاية بينهما أيضًا كهذه ولكنه يعرف النهاية تمامًا ويراها من الآن ولكن ما الحل؟!

عادت "حلم" بعد أن غابت طويلاً متعمدة لتتركه ينهي الرواية؛ لتراه يبكي وفي يديه الرواية صعقت لدموعه التي تتساقط من عينيه.

obeikan.com

- "هاشم" ما الذي حدث هل ضايقك شيء.. هل يؤلمك شيء؟

- يؤلمني أن نهايتنا لن تكون كنهاية البطلين..

- إن أردتها أن تكون.. ستكون..

- يعجبني إصرارك بأشياء ترى نهايتها عند نهاية قدميك، واكتشف فيكِ كل يوم شيئًا جديدًا قويًا عنيدًا، سأموت ولم أفرغ جعبتك العاطفية من كل ما بداخلها..

- لن تموت يا "هاشم" وإن عشت ألف عام ستكتشف فيّ كل يومٍ شيئًا جديدًا هذا هو الحب.

obeikan.com

أعتذر.. لن أستطيع

نفقد الحب حينما نصل إلى نقطة النهاية، حينما نصل إلى نقطة اكتمال المعرفة، يظل الحب شهيًا مادامت لم تزل أشياء لم تعرفها بعد عن الطرف الآخر.

الحب أن تحاول العبث بأغوار من تحب، أن ترتدي معطفًا من اللهفة لمغامرة عشقية ونظارة اقتحام وتلقي بنفسك في غابات أقداره، فتصدم مرة وتتفاجأ أخرى، وتسقط مرة وتسرع بخطاك نحوه ممسكًا به مرة أخرى..

وتظل تتعثر فيه حتى تصل إلى النهاية وحينها تفقد متعة الرحلة، عند نقطة النهاية نفقد شهية كل شيء، وكأنك تعاني سقوطًا من جبلٍ شاهق اللهفة إلى قاع مليء بأشياء راكدة عرفتها قديمًا ذات كل شيء اعتيادي ممل..

قال أحد الرحالة في وصفه لرحلاته:

"رحلتي متعتها في سقوطي وفقدي للطريق أكثر من مرة وإضاعة كل العلامات، ولكني أفقد كل المتعة حينما أجد نفسي وصلت للنهاية

واشتاق لو طالت رحلتي ومغامرتي أكثر من ذلك..

فلا يوجد في النهاية سوى النهاية ولكن طوال رحلتي فيها كل شيء.."

ورحلة الحب لا تختلف كثيرا عن رحلات الطرق واكتشاف البلاد، في الحب أيضًا نكتشف عوالم جديدة لم نكن دخلناها من قبل أو سمعنا عنها، وأحيانًا كثيرة تقودنا رحلة حب دون العلم بوجهتنا، وحينها عليك فقط أن تأخذ نفسًا عميقًا ثم تندفع متخذًا من الحب مرشدًا، والويل كل الويل لمن يتخذ من الحب مرشدا، فإنه بذلك قد أضل طريق هدايته قبل أن يبدأ.

يبدو أني أصبت بالهذيان حين شبهت الحب برحلة، أو ربما لكثرة عشقي لكتب الرحلات أردت أن أعيش إحداها وحين استعددت وتأهبت لأختار بلدًا من الخريطة لأتوجه إليه، فإذا به هذا الرجل أجده على خريطتي، عالم منفصل عن كل البلاد، يحتل قارة شرقية بتضاريس صلبة المعالم والكبرياء، كانت عيناه تسطران بحرًا هائجًا على الخريطة جذبني للغرق فيه، كانت شفتيه تخط حدود دولته عن باقي الدول فآثرت أن اكتشف عالمًا جديدًا منفصلاً مميزاً عمن سواه!!

ما أجمل أن تكون على موعد مع اكتشاف جديد!! وما أصعب الموعد حين يكون لاكتشاف رجل كهذا الرجل، يكره تمامًا الاقتحامات، قد حصّن عالمه بأسلاك شائكة من الغضب وبأسوار شاهقة من الكبرياء!

وما سمعت عنه يومًا أنه خضع لاحتلال أنثوي أو مفاوضة عشقية أو

تخلى مرة عن غموضه فكشف قلبا جيش اهتماماته أو رغباته!!

وما أجمل الانتظار على حافة الاحتراق بصدر رجل تعي تمامًا أنه فارغ من حطب الاشتياق، ولكنه فجأة يثور لتعي أنه مليء بالحمم البركانية..

هكذا أخذت "حلم" تغرق في أفكارها وهي تراقب وجهه وهو نائم، تذكر أول مرة رأته فيها، تتذكر كيف كان عنيدًا غليظًا صعب المراس، مرَ ثلاثة أيام علي وجود "حلم" بجانب "هاشم" في المستشفى، عاشا فيها الحياة كما كانا يتمنيان دائمًا مع بعضهما ولكن كانت "حلم" تلاحظ رغم سعادة "هاشم"، إلا أن آثار المرض تزداد عليه حتى أنه أصابته إغماءة فجأة بالأمس وهي تمشي معه في حديقة المستشفى...

فتح عينيه فجأة لتصطدم عيناهما معًا، رآها في فستانها الأزرق المطرز بقليل من الفضة حول عنقها وشعرها التي ضمته لأعلى وكأنها تضم نفسها بداخله، رقيقة هي كعادتها، جميلة هي دومًا..

- كيف كان يمكن لي ألا أحبك؟! أنتِ امرأة خلقت لأقع أنا في عشقها..

ابتسمت خجلاً ومفاجأة منها لمداعبته الصباحية تلك وقبلت يده ورفعت نظرها إليه..

- صباح الخير يا "هاشم".. لحظة أحضر الطبيب ليطمأن عليك وبعدها نكمل حديثنا..

- لا أريد تلك اللحظة أن أعيشها إلا معك.. أريد ألا يشاركني أحد في

الزمن سواك.. كوني لي الآن بكل ما فيك..

أريد أن أخبرك الآن كم أنتِ جميلة، كم أنتِ رائعة.. كم تمنيت أن أشاركك بيتًا واحدًا تكونين فيه أنتِ ملكته وأكون أنا شريكك.. تكونين أنتِ تاجي الذي أتزين به أمام الجميع.. كم تمنيت أن أخبر الجميع أني أحببت سيدة النساء وتزوجتها وأصبحت ملكًا لي.

أشكرك لأنك حققتِ لي جزءًا مما تمنيت أن أعيشه معك يومًا!

تمنيت أن أضمك لصدري وحققتيه لي.. تمنيت أن أغنيك عن وسادتك واستبدلتي وسادتك بصدري تمنيت أن أفتح عيناي في الصباح لتكونين أنتِ أول ضوء يداعب عيني في سماء صباحي، وها أنتِ أمامي.

كم تمنيت أن تعدين لي إفطاري وحدي وزينتيه بوردة فيها شيء من جمالك..

حققتِ لي كل ما أتمنى.. ولكن لم تحققي لي شيئًا واحدًا.. أن تضيفي لعمري عمرًا كي أحقق لك ما تتمنيه..

- أنا أتمنى أن أكون معك.. أن أعيش لأجلك، أنا أريد أن أكون ملكك وفقط يا "هاشم"!

- كم تمنيت أن أفي لك بكل ما وعدتك به.. كنت أتمنى أن نقوم بجولتنا التي حلمنا بها بعد زواجنا لفرنسا وإيطاليا ولبنان.. كنت أود أن أترك في كل بلدة بصمة لتخلد حبنا للأبد.. كنت أريد أن أنجب منك طفلة تأتيني بـ "حلم" أخرى وأنجب منك ولدًا فيه حلم آخر..

أنا كنت أتمنى أن أعيش لك أكثر من هذا ولكن..

صرخت في وجهه والدموع تغطي وجهها:

- بالله عليك لا تكمل.. ستعيش لي يا "هاشم".. لن أكون عروسًا إلا لك ولن أزف بالفستان الأبيض إلا لك ولن أزور هذه البلاد إلا معك.. لن أنجب إلا منك.. سأخون أي رجل يتزوجني بالتفكير فيك، بالإحساس بك بأحلامي معك..

"هاشم" أستحلفك بكل ما آمنت به يومًا وكان عزيزًا عليك.. أستحلفك بحبنا وبكل أحلامنا لا تتركني لا تجعل القدر ينتهكني كل ليلة بالوجع، لا تسلمني فريسة للألم والوحشة ولظلمة الليل العميق..

"هاشم" تمسك لأجلي.. كن لأجلي.. عش لأجلي كزوج وأب وحبيب وصديق.. ستترك كل هؤلاء وترحل يا "هاشم" كل ذلك لا يكفيك لتتمسك بالحياة..

- أين "آدم" يا "حلم"؟

- "آدم"!! لمَ تسأل عنه؟

- اتصلي به أطلبي منه أن يأتي.

- هو بالخارج.. لحظة سأحضره.

دخل "آدم" عليه وهو يستنكر من سؤاله لإحضاره!

- صباح الخير يا "هاشم".

obeikan.com

- لا أصدق أن مـازال هناك أشخاص مثلك يا "آدم"، وأظـن أنك الشخص الوحيد النقي هكذا والمخلص والطيب بهذا الشكل.

- أنت أنقى وأخلص وأطيب مني يا "هاشم"، أنت رجل لن تتكرر حتى ابنك لن يكون مثلك..

- ابني ستأتي به أنت يا "آدم"..

- نعم!! لم أفهم ماذا تقصد..

- "حلم" لي وصية واحدة حين أرحـل.. أريـدك يا "آدم" أن تتزوج "حلم"، وأن تكون لها رجلاً أفضل مني، وأن تحقق كل ما تمنت هي أن تحققه يومًا..

شهقت "حلم" واندهش "آدم" من وصية "هاشم"، كيف يوصيه بأن يتزوج حبيبته ولكن "حلم" صرخت في وجهه..

في لحظة شعرت كما لو أعراها من حبها أمـام "آدم" تنبهت فجأة لسؤاله مجددًا، حاولت أن تبحث سريعا عن رد محتشم يسترها ويستر حبها أمام "آدم" فما وجدت في خزانة خاطرها سوى دمعة وفية لها أرادت أن تستر عورة ضعفها، نظرت له وكأنها تسأله:

- أتبيعني بهذه السهولة يا "هاشم" أتتخلى عني لرجل غيرك.. ألن تتمسك بي؟ ألن ترفض أن يمسني رجل غيرك..

الآن يمكنني أن أصدق أنك تخذلني وترحل.. كيف تلقيني هكذا لرجل

غيرك؟

- "حلم" اسمعي ولا تتسرعي.. أنا اخترت من أطمئن عليك وأنتِ معه.

- لا أريد أن أسمع منك كلمة واحدة أخرى.. كفاك ما قلته بحديث عمرك كله.. بما توصينا أيها الحبيب الوفي، أن أخونك ومع من؟ مع صديقك ومع الشاهد الوحيد على حبنا.. مع من ارتميت في حضنه أصرخ له على فراقك وشوقي ووجعي عليك.. تطلب مني أن أكون امرأة خائنة.. كيف تقبلها عليّ يا "هاشم" ألم تعد تغار عليّ كما كنت.. كيف تتخيل صورتي وأنا مع رجل آخر غيرك؟

قاطعها بصوت عالٍ:

-- كفاكِ اتهامًا وكلامًا لا تعييه ولا تعرفي كم يؤلمني.. أنا أعرف أن أجلي اقترب كثيرًا فأنا صاحب المرض وأنا من أشعر به ولن أسمح لك أن تعيشي على ذكرى رجل وأنت مازلت شابة جميلة، لن أكون أنانيًا وأرتاح أنا من الألم والدنيا كلها وأتركك هنا تعانين العذاب والفراق والوجع وحدك،

لن أجعلك تبقين ليالي السنين الطوال وحيدة في فراشك لا أنيس ولا رفيق ولا وليد.. لن أجعلك تودعين السعادة وأنتِ مازلت في السادسة والعشرين من عمرك.. لن أجعلك تكملين العمر دون زواج دون أن تكوني أما دون أن تحققي كل ما تمنيتيه يومًا.

لن أكون أنانيًا وآخذ روحك معي وأتركك جسدا هامدا يعيش بمرور

الأيام فقط.. لن أكون أنانيًا وآخذ معي السعادة والأمل والحياة وأرحل..

فجأة أحست "حلم" أن نبرته بدأت تهدأ شيئًا فشيئًا ونظرات عينيه بدأت تضعف حدتها.. مد يده إليها فأمسكت بها وجلست بجواره، فنظر إلى "آدم"..

- "آدم" احفظها لي ومن أجلي من كل شر لا تبكيها أبدًا.. أنسيها "هاشم" وحبه بأي طريقة

ثم وجه نظرته إليها

- الآن أشعر وبأن موعد رحيلي أتى.. يا ليتك لم تسافري السخنة ولم تعد لك الذاكرة يا ليت كل شيء بقي مبهمًا منسيًا في غياهب الزمن..

"حلم" أنا أحببتك منذ اللحظة الأولى، وبعد أن خطبتك وحتى موتي، وأقسم لك بأني سأحبك بعد الموت يشق عليّ أن أطلب منك أن تنسيني وألا تزوريني، وأنا أتمنى ألا تفارقي قبري ولا تكفي عن الحديث معي كما كنا نفعل..

"حلم" لا تكُفّي عن الكتابة أخرجي كل أحزانك في رواياتك وألقيها للناس.. لا تحتضني أوجاعك وأحزانك وحدك في الليل، "حلم" كوني سعيدة من أجلي وقوية من أجلي وناجحة من أجلي أريد أن أسمع تصفيق الناس وأنا في قبري، أريدك نجمة تضوي السماء كما كانت تضوي سمايا.

obeikan.com

"حلم" قربي يدك وضعيها على قلبي أرضي عليه قبل أن يغيب.. أرضي على حبه لك وارضي على السعادة التي أهداها لك وإن كانت قليلة سامحيه.. لقد حاول بكل ما يستطيع أن يسعدك...

سامحيه إن أغضبك يومًا.. سامحيه إن قصر معك مرة.. سامحيه إن ضيع ساعة من عمره بعيدًا عنك..

ولكن أقسم بحبي لك أنه ما دق مرة بعد أن عرفك إلا بحبك واسمك ولأجلك.. أحني عليه واجبري بخاطره، رضاك عليه سيجعله يسعد حتى بالموت.. قدمي أنتِ له الموت كي يقبل به.. قدميه له أنتِ حتى يتذوقه عسلاً وشهدًا.. أمسكي بيده وهو يودع الدنيا كي يشعر أنه ذاهب لحفل زفافه،

"هاشم" لم يخذلك يومًا ولم يتركك يومًا ولم يتخل عنك لحظة سلي قلبه!!

- "هاشم" لا تقلق لن تكون وحيدًا ولن ترحل وحيدًا فروحي الآن تخرج مني مثلها مثل روحك ليصعدا معًا للسماء.. اقترب أنت من قلبي وألمسه وارض عنه.. عاتبه إن كنت أردت حبًا منه أكثر من هذا، عاتبه إن لم يعطك السعادة التي تستحقها عاتبه إن يومًا قسى عليك أو أغضبك... عاتبه إن لم يكن القلب الذي تمنيت أن يضمك بداخله يومًا.. سامحه على الرواية التي صفعت قلبك يومًا، سامحه على خيانته لك مع "ياسين".

"هاشم" أقسم لك أني أرى الموت الآن مثلما تراه تمامًا؛ سترحل أرواحنا في لحظة واحدة وسنكمل الحياة في السماء أنها المكان المناسب لقلبك الطاهر..

"هاشم".. الآن أنا "حلم زوجة هاشم سليمان" سأعيش باسمك ما حييت عمري من بعدك ستكون دوما أنت فنار الحب الذي يرشدني للهداية بالأمل والتمسك بأحلامي..

ستكون أنت أول وآخر من لمس برجولته وحبه قلبي العذري وعانقه يومًا وخلده عمرًا...

- اقتربي مني لأضمك وضميني بقوة، اقتربي حتى أشعر وكأنك أصبحتِ بداخلي..

وحاصرها بذراعيه إلى صدره ثم أحاطت بذراعيه رأسه وقبلته وضمته بكل قوتها حتى شعرت بيديه تراخت تماما.

-- "هاشم".. "هاشم" رد عليّ "هاشم"، "هاشم" لا تتركني لا توقف أنفاسك يا "هاشم" أنا أعيش بها..

اقترب منها "آدم" وضمها إليه وهو ينعي صديقه وحبيب صديقته وخطيبها وعمرها بأكمله..

-- "حلم" كوني سعيدة لأجله.

*****

خرجت "حلم" بعد شهرين من ذلك الانفصال التام الذي ذهبت إليه بعد رحيل "هاشم"، وكتب لها الطبيب السماح بالخروج ..

- "آدم" أريد أن أطلب منك طلبًا.

- تفضلي.

- أريد أوراقا وأقلاما وحاسوبي الخاص، وأن تغلق باب غرفتي عليّ.

- ستكتبين رواية جديدة..

- نعم.

أحضر لها كل شيء طلبته وأغلق الباب .. قضت "حلم" أربعة أشهر تكتب في تلك الرواية ولم تخرج من بيتها يومًا ولم تقابل أحدا، وبعد ما أنهت الرواية أمسكت بهاتفها وطلبت من "آدم" أن يأتي لها.

دخل عليها وجدها جهزت كل أوراق الرواية وبجانبها شنطة سفرها أيضًا.. تساءل بنظرات حائرة ولكنها قاطعت حيرته بصوتها:

- أريد منك أن تنشر تلك الرواية، وأنا اتصلت بشركة طيران وحجزت لنفسي رحلة إلى إيطاليا بضعة أيام وجهزت كل شيء سأترك عليك مهمة نشر الرواية كالعادة..

-- أيمكنني أن اضطلع عليها.

أعطته الرواية... قرر أن يقرأ الإهداء ليفهم منه محتوى الرواية

(من قال إن الحب يموت بموت صاحبه.. فإنه لم يقع في الحب يومًا

مادام هناك طرف للحب مازال حيًا.. فالحب أيضًا لم يزل حيًا

من قال إن الفراق ينسينا.. فإنه لم يفارق يومًا

الفراق فتيل يشعل وهج الحب بداخلنا

يجعلنا نشتاق كل يوم أكثر ونحب كل يوم أكثر

إهداء روايتي لمن فقدت جسده ولكن لي مع روحه

قصة حب جديدة.. بذكريات سأخلقها من جديد

أهديك روايتي....

يا حبي الأول والأخير)..

تنهد "آدم" بعد الإهداء بسخرية من وصية "هاشم" بزواجهما.. أي زواج يتم وهي تعلن ميلاد حب جديد له مرة أخرى حتى بعد وفاته..

- لم أنس الوصية يا "آدم"، وأعرف أن وصية الميت يجب أن تنفذ ولكني سأثبت له يوما بأن وصيته كانت مستحيلة، وأنا أيضا يستحيل أن أظلمك معي يا "آدم" لأنفذ وصية "هاشم"..

- "حلم" أنا...

- لا أريد كلاما آخر يا "آدم"... سأسافر فترة أتمنى أن أعود فيها أفضل.

obeikan.com

- أتمنى لك ذلك أيضًا.

*****

هبطت طائرة "حلم" أرض إيطاليا.. تذكرت أن "هاشم" كان ينوي زيارة مكان كثيرًا ما شاهده في التلفاز وعشق أن يزوره.. توجهت إليه فورًا.. رأت المكان جميلاً حقًا وقفت على أحد الجسور العالية التي تكشف إيطاليا بأكملها بكل جمالها..

- من هنا تبدو إيطاليا عارية من ثوب العمل والتكنولوجيا والتطور.. هنا تبدو على طبيعتها بجمالها الخلاب وسحرها الأخاذ.

كان معك حق يا "هاشم" أن تعشق زيارة هذا المكان..

اعتذر إليك ومنك يا "هاشم"، ولكن تنفيذ وصيتك أمر مستحيل .. أن ارتديت ألف ثوب وثوب سأظل عارية يظهر حبي لك في عيني وفي ملامحي وصوتي وكلماتي وأحلامي.. سيظل قلبي عاريًا ولو تلحف بغطاء السماء، كل من ينظر له يجدك بداخله، حبك ينمو يومًا بعد يوم.

أعتذر لك يا "هاشم"، ولكن الخيانة أمر مستحيل عليّ وخيانتك خاصة أمر يفوق المستحيل.. لا تجبرني أن أرتدي ثوبًا من الكذب لم ارتده يومًا.. لا أريد أن أظلم أي رجل معي.. سأراه أنت وأحتضنه أنت وأشاركه السعادة وأنا أشاطرها معك أنت.

تكفيني الخمس سنوات وما أعطيتني فيها من سعادة لتكفيني العمر كله لأعيش بها سعيدة.. صدقني أنا ما ترملت من بعدك ولا فقدت الحياة، أنت معي في كل وقت .. حتى الليل أنت معي فيه صوتك وصورك وكل شيء، روحك تحاصرني أكثر من قبل.

تكفيني خمس سنوات لتغمرني خمسين سنة قادمة من عمري بالسعادة... اكتفيت بالحب معك واكتفيت بالسعادة معك... لم يعد ينقصني حب حتى أبحث عنه في شخص آخر ولن أفتقد السعادة، مادامت ذكرياتي كلها معك مازالت في ذاكرتي أحضر منها ما أشاء كل ليلة لتضحكني وتريحني، ثم تحنو على قلبي وتجعله يغفو حتى الصباح.

من يؤمن بشيء لن يفقده حين يرحل بل سيتمسك به أكثر.. ومن قال إن الحب يموت بالمسافات، لم يذق حلاوة اللهفة والاشتياق سأظل متلهفة للقياك.... سأظل طاهرة حتى أكون حورية لك في الجنة يا "هاشم"... سأصلي لأجلك، سأعيش لأجلك.

*****

مهما جرت بنا الأيام وتقدم بنا العمر... مهما تغيرت بنا الأحوال وتقلبت الظروف

هناك أشياء بداخلنا ستظل عارية ترفض ارتداء ثوب لا يليق بها أو ثوب يخفي ما بداخلها.. مثل جزء من قلبنا لن يرتدي أبدًا ثوب النسيان..

obeikan.com

وجزء من روحنا سيظل عاريًا يرفض ارتداء ثوب الكراهية والقسوة وأي صفة سيئة.. وجزء من عقلنا سيظل عاريًا يرفض ارتداء الثوب الذي يخفي وقوعه في الحب واعترافه به يومًا من الأيام.. حتى أحلامنا مهما تغيرت الظروف وتغيرت معها اهتماماتنا لتلائمها، سيظل هناك جزء عارٍ منها يرفض ارتداء ثوب التغيير..

تلك الأجزاء هي ما يجب أن نهتم بها جيدًا، لأنها عارية وأي صفعة من القدر ستخدشها.. لذا يجب أن نحافظ عليها جيدًا ولا نخبر عنها شيئًا لأي شخص مهما كان قريب منا... مهما كان.

حين تصلون إلى هذه السطور تكون قد انتهت روايتي.. قصتي ومأساتي وفجيعتي.. أنا الآن أتخلص من كل هم بداخلي.. قد آن لي أن أستريح قليلاً مما أنا فيه، قد آن لي أن أودع الأقلام والأوراق والكلمات، قد آن لي أن أعيش مع "هاشم" دون سواه..

نظرت "حلم" بعد ما كتبت أسطرها الأخيرة من روايتها إلى البحر.. لا شيء أكبر من حزنها على فقدان "هاشم" ولا شيء هائجا أكثر من حنينها إليه، نظرت إلى تلك الدبلة التي تحتضن أصبعها، والتي وضعت عليها اسم "هاشم" تنهدت بيأس:

طال غيابك وطالت حياتي سواك وكأن مرافقة الغياب راقت لك أكثر من مرافقتي، ولكن رغم كل شيء

أنا مازلت هنا.

ومازلت أحبك.

في وحشتي .. أحبك!

في ظلمتي .. أحبك.

وسط الناس، في زحمة السير.

لحظة انتظار إشارة المرور، ولحظة انتظار قهوتي على النار.

لحظة صباحي ومسائي، لحظة "فيروز" حين تعلو بصوتها وحين انخفاضه.

لحظة نجاحي وفشلي ومرضي وعافيتي.

في كل اللحظات .. أنا أحبك.

حتى اللحظة التي أحبك فيها.. أحبك.

سأحمل كل أجزائي العارية بك وأحلامي معك ونمضي دون أحد سوانا في طريق الغياب الطويل، سنغيب فيه عن أعين الناس، ولن يشاركني فيه سواك، سأمضي فيه وأنت معي الحاضر الغائب... ستكون دومًا في حياتي... رفيق الغياب.

*****

obeikan.com

أؤمن بأن الوداع

ليس انتصارًا للخريف

وبأن الذكريات ليست غرف الجحيم

أؤمن بأن الغياب

ليس لحظة التحطيم

ولا حادًا كالسكين

أؤمن بأن الفراق

يترك بنا من صرير الوهن كثير

ويتركنا في وجعنا دون تفسير

ولكن لن نموت رغم الوجع

ولن نهلك في ظلام كسيح

أؤمن بأن سنبلة الحب

لا تموت بالجفاف

ولكن بخيبات الأمل

وبقسوة يد قطفتها دون تخدير

أؤمن بأن العذاب

obeikan.com

ليس أن يرحل عنك من تحب

ولكن أن يرحل عنك الحب

وشتان بينهما

فـ الحب لا يغيب بالرحيل

ولكن يغيب بالتكفين

والتكفير

والتحريم

أؤمن بأن لنا لقاء

ولو كان بيني وبينك خط الاستواء

ورغم أن لقاءنا الأخير..

كان الأخير

أؤمن بأن دون الحب

تنتهي الحياة

سيزول كل شيء

وسيبقي لنا العشق

دون تجريم

obeikan.com

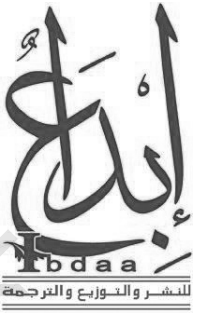

للاطلاع على أحدث إصدارات مؤسسة إبداع

يرجى زيارة الموقع الإلكتروني

www.prints.ibda3-tp.com

obeikan.com